الجائزة العالمية للرواية العربية
INTERNATIONAL PRIZE FOR ARABIC FICTION

الجائزة العالمية للرواية العربية

مقتطفات من القائمة القصيرة 2023

فاطمة عبد الحميد
الأفق الأعلى

الصدّيق حاج أحمد
مَنّا

زهران القاسمي
تغريبة القافر

نجوى بن شتوان
كونشيرتو
قورينا إدواردو

أزهر جرجيس
حجر السعادة

ميرال الطحاوي
أيام الشمس المشرقة

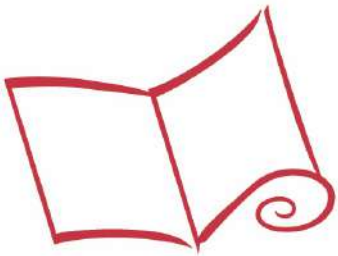

الجائزة العالمية للرواية العربية

INTERNATIONAL PRIZE FOR ARABIC FICTION

الجائزة العالمية للرواية العربية

القائمة القصيرة

للعام 2023

مركز أبوظبي للغة العربية

Abu Dhabi Arabic Language Centre

المحتويات

عن الجائزة	4
تمهيد: كلمة رئيس لجنة التحكيم	9
مقتطفات من روايات القائمة القصيرة:	
مَنّا، الصدّيق حاج أحمد	12
حجر السعادة، أزهر جرجيس	20
كونشيرتو قورينا إدواردو، نجوى بن شتوان	28
أيام الشمس المشرقة، ميرال الطحاوي	35
الأفق الأعلى، فاطمة عبد الحميد	44
تغريبة القافر، زهران القاسمي	51
أعضاء لجنة التحكيم للعام 2023	59
المترجمون	62

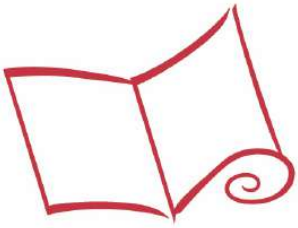

عن الجائزة العالمية للرواية العربية

تهدف الجائزة العالمية للرواية العربية، وهي الجائزة الأدبية الأكثر هيبة وأهمية في العالم العربي، إلى مكافأة التميّز في الأدب العربي المعاصر، ورفع مستوى الإقبال على قراءة هذا الأدب عالميا، من خلال ترجمة الأعمال الفائزة ونشرها بلغات عالمية رئيسية أخرى.

أُطلقت الجائزة العالمية للرواية العربية في أبريل/نيسان 2007، تحت رعاية "مؤسسة جائزة بوكر" في لندن، ويقوم مركز أبوظبي للغة العربية التابع لدائرة الثقافة والسياحة – أبوظبي بدعمها حالياً. إدارة شؤون الجائزة الشاملة هي من مسؤولية مجلس الأمناء، الذي يضمّ شخصيات بارزة من الساحتين الأدبيتين العربية والعالمية. أما الإدارة اليومية فهي مهمة المنسق الإداري، الذي يعيّنه مجلس الأمناء.

من مهام مجلس الأمناء تعيين أعضاء لجنة التحكيم الخمسة في كل دورة، وهم المسؤولون الوحيدون عن اختيار القائمة الطويلة، ثم القائمة القصيرة، والرواية الفائزة. وتتغيّر لجنة التحكيم سنويا. بغية ضمان استقلالية عملية الاختيار ونزاهتها، يظل أعضاء لجنة التحكيم مجهولي الهوية إلى حين الإعلان عن القائمة الطويلة.

ينال كل من الكتّاب الستة المرشحين في القائمة القصيرة عشرة آلاف دولار أميركي، بالإضافة إلى خمسين ألف دولار أميركي للفائز. فضلا عن ذلك، يتطلع الكتّاب الفائزون في القائمة القصيرة إلى زيادة في مبيعات كتبهم في البلدان العربية، كما في العالم من خلال الترجمة، وتضمن الجائزة تمويل ترجمة الرواية الفائزة إلى اللغة الإنجليزية.

بالإضافة الى الجائزة السنوية، تدعم الجائزة العالمية للرواية العربية مبادرات أدبية مختلفة، فأطلقت سنة 2009 ورشة للكتابة الإبداعية تحت اسم "ندوة" للكتّاب الشباب من جميع أنحاء العالم العربي. وتعتبر الندوة الأولى من نوعها للكتّاب العرب، وينتج عنها في كل سنة ثمانية نصوص روائية لنخبة من الكتّاب الشباب الواعدين، وقد ترشحت للجائزة أعمال بعضهم، فدخلت في القائمة القصيرة وحتى فازت بالجائزة. وتمّ عقد الندوات الثماني الأولى تحت رعاية سمو الشيخ حمدان بن زايد آل نهيان، ممثل الحاكم في منطقة الظفرة، دولة الإمارات العربية المتحدة. عقدت "ندوة" العام 2017 بدعم من مجموعة أبوظبي للثقافة والفنون. كما عقدت ندوات أخرى في الأردن وسلطنة عمان والشارقة بالتعاون مع مؤسسة عبد الحميد شومان الأردنية، والنادي الثقافي في مسقط، ودائرة الثقافة – حكومة الشارقة، وهيئة الشارقة للكتاب.

لمزيد من المعلومات:
www.arabicfiction.org

مركز أبوظبي
للغة العربية
Abu Dhabi Arabic
Language Centre

عن مركز أبوظبي للغة العربية

تأسس مركز أبوظبي للغة العربية كجزء من دائرة الثقافة والسياحة – أبوظبي لدعم اللغة العربية ووضع الاستراتيجيات العامة لتطويرها والنهوض بها علميًا وتعليميًا وثقافيًا وإبداعيًا، وتعزيز التواصل الحضاري وإتقان اللغة العربية على المستويين المحلي والدولي، ودعم المواهب العربية في مجالات الكتابة والترجمة والنشر والبحث العلمي وصناعة المحتوى المرئي والمسموع. يعمل المركز لتحقيق هذه الأهداف عبر برامج متخصصة وكوادر بشرية فذة، وشراكات مع كُبرى المؤسسات الثقافية والأكاديمية والتقنية حول العالم انطلاقًا من مقر المركز في العاصمة الإماراتية أبوظبي.

تمهيد

من أسئلة الماضي
إلى أسئلة المستقبل

قدمت نصوص اللائحة القصيرة لهذه السنة (2023) بانوراما غنية للسرد العربي، فهي تبرز من جهة التحولات التي تعرفها مضامين الرواية (العودة إلى الطفولة ولسحر الأمكنة، وإلى الأساطير المؤسسة، وإلى مناطق الظل في التاريخ والمجتمع...) وتعكس من جهة أخرى التنوع في طرائق السرد، وفي أساليب الكتابة، وهو تنوع يعكس المجهود الكبير الذي يبذله الكاتب على نصه، سواء تعلق الأمر بالبناء الروائي، أو بابتكار شخصيات "وأبطال" خارج النسق المألوف، أو بالاشتغال على اللغة.

– تفاجئنا **رواية "مَنا"، للصديق الحاج أحمد** أولا بلغتها التي تجمع بين العمق التراثي وخصوصية "لغة التخوم" التي تتداولها قبائل الصحراء في الحل والترحال، قبل أن تفاجئنا بعوالمها المثيرة وهي تستعيد جزءا منسيا في جغرافيتنا وذاكرتنا، هو تلك الصحراء الشاسعة، والقاسية بجفافها ومجاعاتها وحروبها، يتعلق الأمر هنا بالصحراء الواقعة بين شمال مالي وجنوب الجزائر، ولكن روح الرواية تستحضر مجالا أوسع من ذلك، مجال الأبعاد الروحية والثقافية لقبائل تقاوم من أجل البقاء في عالم تفرض فيه التقلبات المناخية والسياسية صيغا قاسية للحياة وللترحال.

– في **رواية "حجر السعادة"** ينكب **أزهر جرجيس** على قراءة عراق اليوم، بعيني الطفل "توما" الذي يهرب من قسوة الأب والقرية على ضفاف النهر، ويدخل بنا إلى مجاهل بغداد، المدينة التي أرهقتها الحرب والصراعات الطائفية، وفيها سيعيش كل مغامرات التشرد والعنف والخوف، هو الذي كان يحلم بالتقاط صور للعالم، صار العالم يحشد في دواخله صور رعب لا يطاق، إلى أن تقوده الصدفة إلى المصور المحترف الذي سيفتح له قلبه ومختبر تصويره ويضع بين يديه الآلة التي سيلتقط بها ما تراه عينه القادمة من

أحشاء المدينة. لكن "توما" سرعان ما سيفلت من سيرته الشخصية، ليزج بنا في السيرة الجماعية التي يعيشها مجتمع ما بعد الحرب بفقره وحيرته وميليشياته.

– تعود الكاتبة الليبية **نجوى بن شتوان** إلى مسرحها الأثير، مسرح التحولات الليبية الحديثة ومنه تستلهم عوالم روايتها "**كونشيرتو قورينا إدواردو**". إنها حكاية عائلة ليبية، تقودها الأختان التوأمان، وتعبر بنا أوهام العهد الثوري وتناقضاته ومآسيه، لتخلص في نهاية المطاف إلى التسليم بأن مرحلة بهذا التعقد لا يمكن أن تنتج خلاصا، إنها ما إن تلمح بارقة انفراج ممكن، حتى تسقط بين مخالب وحش أكثر شراسة. وفي خلفية هذه الدراما الجماعية تنتسج حكايات إنسانية تبحث عن خلاص لا تصادره الأقدام الثقيلة.

– في رواية **ميرال الطحاوي** "**أيام الشمس المشرقة**"، تأسرنا محكيات متقاطعة، بعضها يجري في أمكنة الهجرة، وبعضها الآخر في أمكنة الوطن الأصل، لا يتعلق الأمر باستدعاء التقابل النمطي بين الشرق والغرب، بل ببناء تقابل آخر بين شخصيات تعيش ورطة "الإقامة" وورطة الترحال بنفس التعاسة والأوهام، والآمال المتجددة، والخيبات التي يلاحق بعضها البعض. "الشمس المشرقة" هو مكان بين الهنا والهناك، بين مستنقع الذين لا يستطيعون شيئا، ومرتفعات الذين يستطيعون كل شيء، مكان لا يبدأ فيه أحد شيئا من الصفر، ولا يصل إليه أحد حتى يبدأ في تحضير نفسه للمغادرة، وفي هذه الأثناء تستمر الحياة في هذا المكان المسكون بأرواح قلقة، في إغداق عذوبتها وعنفها على المقيمين والعابرين.

– في **رواية "الافق الاعلى" لفاطمة عبد الحميد**، نتلقى في البداية بحمدة، المرأة التي ستزوج ابنها ذا الثلاثة عشر ربيعا بفتاة تكبره بأحد عشر سنة، في مجال يهيمن عليه "قابض الأرواح" الكائن الخفي الذي يرتب المصائر، ويدبر انتقال الناس من عالمهم المحسوس إلى عوالم غير مرئية. لقد نجحت الكاتبة في سبر أغوار النفس البشرية في علاقتها بالموت كحقيقة مطلقة، وفي علاقتها بالحب كحقيقة نسبية على غرار ما حدث لسليمان الذي فقد زوجته وأمه، ورأى أبناءه يخلقون بعيدا عنه، وفي غمرة يأسه يرى من شرفة البيت المقفر طيفا يدعوه إلى بناء قصة أخرى، سوى أن كل ما نبنيه بالحب أو بغيره سرعان ما

يتحول إلى خرائب، أكثرها فداحة خراب الروح، في عالم "تطرد فيه الآلام الكبيرة الآلام الصغيرة"، كما تقول الرواية.

– وأخيرًا ها هي **رواية "تغريبة القافر" لزهران القاسمي**، تعود بنا إلى أسطورة النبع الذي يظهر ويختفي، وإلى أسطورة القافر نبي الماء وعرافه، والخيط الرابط بين الممكن والمستحيل.

إن "ابن الغريقة" الذي تخرجه القابلة حيا من بطن أمه التي قضت غرقا في البئر، سيتحول بفعل هذه التراجيديا المؤسسة إلى دليل القرية في رحلة البحث عن الماء أو عن الحياة. إنه يمثل عبر محكيات القرية والعائلة والإرث المصادر، قدرية العطش والارتواء في قرية تبحث عن انعتاقها، يسكن ذاكرة أبنائها وخيالهم، صوت الماء، مجيئه الهادر، أو ذهابه الأخرس، في انتظار دائب لحدوث معجزة ما.

يتعلق وجود القرية كلها بالقدرات السحرية للقافر، الذي يصبح بسحر الكتابة دليل القرية في سعيها المستثمر لبناء أساطيرها الخاصة، التي بدونها لا يستقيم الخصب ولا الرفاه، ولا تستطيع تلك الأم الغريقة أن تهب الحياة مرة أخرى.

في هذه الروايات كلها هناك نزوع للبحث في الجذور، حول ما ترسب في حياتنا اليومية من انكساراتنا المشتركة ومن أحلامنا المخذولة، ولكن أيضا من تطلعاتنا البسيطة، ومن توقنا للكرامة والحرية. إنها نصوص تساءلنا عبر متخيلها ولغتها، وتدفعنا إلى الانتقال من أسئلة الماضي بكل أعطابه وتعثراته، إلى أسئلة المستقبل، في زمن أصبح فيه نشدان الخلاص الفردي يحل محل اعتناق القضايا الكبرى وخلاصها الشامل.

محمد الأشعري
رئيس لجنة التحكيم
2023

مَنّا، الصدّيق الحاج أحمد

ملخص الرواية:

تتناول رواية "مَنّا" موضوعاً جديداً في الرواية العربية: مصير الطوارق الذين فرّوا من أراضيهم على إثر جفاف العام 1973 الذي ضرب صحراء شمال مالي، واتجهوا نحو جنوب الجزائر وليبيا واستقرّوا في مخيمات اللجوء هناك. ومع مجيء 1980، وظّفهم القذافي في حروب في تشاد وجنوب لبنان، مقابل وعد إقامة دولة أزوادية مستقلة في شمال مالي. وبعد معاناتهم في الحروب ومعتقلات الأسر التشادية، يئسوا من القذافي ووعده بالوطن، وقاموا بسلسلة من الثورات ضد السلطات في مالي والنيجر. تُروى الرواية على لسان أحد اللاجئين الذي دوّن سيرته وسيرة ابنه على مخطوط ملطخ عُثر عليه في صندوق، نكتشف من خلاله تفاصيل التحولات السياسية والثقافية الهامة في المنطقة، أثناء الأربعين عاماً السابقة على سقوط القذافي في 2011.

الصدّيق حاج أحمد كاتب جزائري من مواليد أدرار، الجزائر، عام 1967. أستاذ التعليم العالي لمقياس اللسانيات العامة ولسانيات الخطاب بكلية الآداب في جامعة أدرار، وهو مدير مخبر سرديات الصحراء في نفس الجامعة. فاز بالجائزة التقديرية الوطنية من وزارة الثقافة، حول الكتابة السردية عن الصحراء. أصدر ثلاث روايات: "مملكة الزيوان" (2013)، و"كامارار" (2016)، و"مَنّا" (2021).

مقاطع من رواية "مَنّا"

ليبيا..
غواية التّويوتا والكلاشينكوفْ

مع مجيء سنة 1980، كل الكلام أضحى نافلة، أمام بُشرى الخبر الوافد! الذي تعالت زغاريده في تلك الأيام، لا تسمع بأحياء شتات أهل الصحراء بجنوب الجزائر؛ إلا اسم ليبيا، يدور على ألسنة ليفاماميستْ ومن حولهم، كما تدور كؤوس الشاي برغوتها اللاّمعة، التي يحبّ القوم دائما، أن تكون زينة مجالستهم.

بدأ الإمزاد والتيندي النسائي، في تغريد سمفونيته التارقية الحالمة، القيفانْ الحسّاني هو الآخر لم يتأخر، شرع يحنّن مواويل طربه الغنائي المتموّج عبر درّاعات أصحابه الفضفاضة، فيما راح شوماريستْ شباب توارق شمال مالي بتمنراستْ، يعزفون قيثارهم المجيد، جزاء الأخبار الجَذِلة، الوافدة على أهل الصحراء، ليس العمل فحسب؛ إنما لبوس التجنيد، وإمكانية دخول معسكرات الجيش اللّيبي، والوعد بإقامة الوطن الوردي بالأزواد.

زاد هذا التوق، شهوة أصحاب الأزواد بمن فيهم بادي، بالمركوبة اليابانية السّاحرة، سيّدة ذوات الأُطر الأربعة الغزالة؛ لالّة التّويوتا، عظّم الله ذكرها وكثّر سُلالتها ونسلها في بوادي الأزواد، كما يحلو للقوم تقريظ مدحها، حين يطيب لهم إغراقها بالذكر والثناء، لما وجدوه فيها من مؤانسة ومعاونة على قهر الصحراء، حتى باتوا لا ينظرون بابتسامة مزهوّة لصديقتهم الإنجليزية القديمة؛ لاندروفر.

ليفاماميستْ في كل أحياء أهل الأزواد بالجزائر وبلا استثناء، بشّروا بغزارة هذا النّعيم الياباني الجديد، المحارب لوعورة الصحراء عند ميليشيات الجيش الأخضر، وفي ليبيا عامة، صوروا لهم حضور هذا المركوب، كتناسل مواشيهم، إبان عصرها الذهبي، قبل عام التطيّر والعِيافة قبّحه الله..

الواعون من علّية أهل البوكار واللّثام؛ أغووا قومهم بأمر آخر، لعلّه أشدّ سحرا

وذكرا، ذلك المتعلّق بأُبّهة الكلاشينكوفْ والسيمينوفْ الفائض بليبيا، ومن ثمّ حقّ لهم أن يقولوا؛ اكتملت أمنيتنا بالتويوتا، وانبلجت رؤيتنا بالكلاشينكوف!!

لقد ترقّبنا هذه اللّحظة أعواما مديدة؛ يقول بادي.. بعدما أُهين أهلنا من طرف حكومة باماكو في الثلث الأول من الستينيات، فجعلنا حلمنا المستقبلي، الثأر لشهداء ثورتنا بكيدالْ، ورفع السلاح بأعلى أيادينا، من على ظهر تلك اليابانية الشريفة فوق جبال أدغاغْ وصحاري تيلمسي ومَنَكا.

لعلّنا لم نؤمن بما سمعنا من نداء القذّافي صراحة.. لفرط يأسنا وقنوطنا من تبرّم الأيام وتحالفها علينا مُذ 1963، مع ما أتى بعدها من توابع جفاف 1973.. أغلب الظّن أن حساب معادلة وطننا المفقود، كانت بُغية مدسوسة في عقولنا وجوانح أنفسنا، رغم هذه الخيبات والانكسارات المتعاقبة، مما حرّض بعضنا في استعجال الذهاب إلى ليبيا بلا تُؤَدة أو مشورة.

غاية ما خطر ببالنا وربما في سابق منامنا بعد حادثة مَنّا، وهذا هو الصحيح، أن نستجمع قوّتنا ونخطّط لهدفنا، فنعسكر على لاندروفراتنا بأسلحة صيدنا وسيوفنا بجبال كيدالْ، وإذا بمغمّر القذّافي يغرينا ويمنينا بأكثر ممّا هتف على بالنا والله..

يقول سُوخا الإفوغاسي، رفيق بادي إلى ليبيا، وأحد المغرمين الشداد بالماركة اليابانية؛ تويوتات ساحرات، تخيلناها تقفز كالغزلان بوديان تيلمسي، وعلى سيوف عروق رمال مركوبة، وأحجار جبال كيدالْ، نطال بها جور موديبو كايتا، وحيف جلاّده؛ ديبيْ.

يضيف بادي؛ كلاشينكوفات وسيمونوفات روسية خفيفة معبأة تنتظرنا هنالك، نتأبط أحزمتها على أكتافنا، وننظر لنحاس رصاصها اللاّمع بزهو وتشاوف كبرياء.

ألم يقل لهم القذّافي في خطابه الشهير بتاريخ الـ16 أكتوبر 1980 بمدينة أوْباريْ جنوب ليبيا؛ تعالوا.. تعالوا.. أنا منكم.. إنّكم عائدون.. أُمنيكم بدولة أزوادية يوما ما؟

كيف لا يستجيبوا ويفرحوا؟ وقد قُدّم لهم إكسير، فرفرتْ له أهداب شيشانهم البوكارية، بعدما وجدوا مشكلا عصيّا، في محاولة تمرّدهم على حكومة باماكو، وفرض دولتهم الانفصالية شمال مالي، غداة استقلال دولة مالي، وانفراطها من عقد اتحاد جمهورية السودان مع السنغال.

***

كان بإمكاني البقاء بالجزائر، وعدم التفكير في الهجرة لليبيا؛ يقول بادي.. الحق يُذكر ولا يُطمر، لم نجد مضايقة أو تطرّفا يؤذينا، لا من حكومة أمنا الجزائر – أعاننا الله على برّها – ولا من بني عمومتنا بجبال الهقّار أو الطّاسيلي أو حتى شيوخ واحات تَواتْ؛ بل العكس، قَدّمت لنا الأم المتبنية، ما يكفي من حليب الرضاعة، وضيافة الرعاية والاحتضان، والكذب على الله حرام.

أدمجتنا والدتنا الجزائر الحنون، أدخلتْ أبناءنا المدارس، علّمتهم، سكتتْ عن فطريات نبات شتاتنا، هي تعلم يقينا، أننا ماليو المولد والنشأة؛ لكن في أصولنا خيط وصال وعُروة من جنوبها، على الأقل معظمنا وُلد بالبوادي والوديان القريبة من صحراء تنزروفتْ وتيْن زاوتينْ وبرج باجي مُختار التابعة لها؛ بل مِنا من وُلد أبوه أو جدّه بوديان تيمياوينْ، وتينْ زَواتينْ، ولربما أثناء ترسيم لفرانسيش للحدود بين الجزائر ومالي، ذهب يرعى هناك، وتنقلّ بخيمته جنوبا، نحو بوغصّة أو بوادي تَساليتْ وتَشالغة وتَلَهْنْدَكْ وغيرها، فعُد في قسمة بامْبارة مالي.

وربّ الكون.. لولا جدب الأرض وهلاك المواشي، وتراكم الغُبن المسلّط علينا من حكومة باماكو، ما أتينا هنا، حتى لو أُغرقنا بالتِّبر والذّهب، أي والله.. أقولها وأكرّرها.. لا شيء يعدل، آنية الحليب برغوتها الطازجة من الضرع، وطقس تربيعة شراب الشاي بجلسة الخيمة، ومواش ترعى حولها عند إنسان الصحراء.

الجزائر بلد منظّم؛ يقول بادي.. لها جيش قويّ، سليل جيش تحرير ثورتها العالمية، صاحب عقيدة، عتاده قادر على الأرض، ويستطيع من الجوّ، أن يرصد ويعطّل بعض تحرّكاتنا الدائمة المريبة بعروق الرمل وحَمادة جبال الصحاري، ولعلّ أكثر ما يقلقه، عشقنا لسيارات الدفع الرباعي، وهذا هو المشكل!!

الحدود بيننا ممتدّة، طويلة جدا، كما لا يخفى على الجيش الجزائري – حماه الله – أننا قوم نتقن السّير بالطرق المقطوعة ليلا هديا بالنجوم، والتسلّل بين جبال الصحراء الوعرة، نعرف ما لا يعرفه غيرنا، من أحجارها وعروقها الرملية، ومورد الماء بها.

لذلك وضعت الجزائر من الأول؛ مسافة احترام وأمان، بيننا وبينها، لعلّها معذورة في ذلك، ولستُ مبالغا، إن قلتُ؛ لها كل الحق في الخوف على أمنها واقتصادها من خبال التهريب – أي تهريب – برؤوسنا، عندما أتجرّد من ذاتيتي.

المتطرّفون مِنا نحن التوارق – سامحهم الله – وهم على فكرة؛ قلّة، يردمون كل هذا السّخاء والعطاء للجزائر، أمام انخراط الرئيس بن بلّة رحمه الله، في تسليم بعض قادتنا، من رواد ثورة كيدال 1963 إلى حكومة (مُوديبو كايْتا) التي سجنتهم وهم؛ زيد آغ الطّاهر الإفوغاسي، وإلياس آغ أيوب الدّوإسحاقي، وآخر فاتني ذكره، بعد أن احتموا بها يطلبون نصرتها.

مهما يكن من أمر، يحزّ في خاطري تنكّر تلك القلّة القليلة مِنا، لعطاء الدولة النوفمبرية العظيمة، وجودها بلا حساب معنا في كل شيء، دعني أكون منصفا ولا أبالغ، لن أتحدّث عن كرم الضيافة على أراضيها بعد جفاف 1973، فذلك ما يعجز الوصف والسرد بشمله.

ادخل سوق كيدالْ أو تَساليتْ أو غاوْ المتاخمة لحدودها الجنوبية، سترى علاماتها التجارية على الأرز، المعكرونة، الزيت، السكّر، الشاي... البنزين والمازوت الجزائري على الأرصفة في كل مكان بمدن تلك الأسواق.. أقليل هذا؟ يسأل بادي قومه.

قالتْ لنا مولاتنا الجزائر، بمضمون شفرة الرسالة؛ كلوا واشربوا، اسكنوا وتمتّعوا، درّسوا أولادكم، لا مشكل في عملهم، إن تحصّلوا على الجنسية، وما دام وُلدوا على أرضي وتجنّسوا، فهم جزائريون، يسري عليهم ما يسري على الجزائري، من حقوق وواجبات، من تجنيد وتوظيف، المهم لا تنبشوا التهريب بالحدود، ولا تكن أرضي قاعدة لنسج أفكار وطنكم المزعوم.. غير هذا فمرحّب بكم كأبناء وجيران.

×××

صراحة سبب هجرتي لليبيا؛ أن الأمر هنالك مختلف بالمرّة؛ يضيف بادي.. القذّافي تبنّانا شُهرة معلنة غير مستورة، وعدنا بإقامة دولتنا الموعودة بالأزواد، أدخلنا الجيش، فتح لنا معسكرات التدريب، أي والله.. بعد أن مُنحنا بطاقة (بناء) بواسطة الأشقاء الموريتانيين المرابطين بليبيا.

كما مَنح قائد ثورة الفاتح لبعضنا؛ بطاقة (عائد) سراب سيل لعاب الوطن الموعود؛ كما وصف نَكّات فاماميستي إدناني، بمعسكر بني وليد، وسأل بعده

فـامـاميستـي إفـوغـاسـي بـنـفس الجلسـة؛ هـل تمنـحـنـا الجزائر ظلال الـوطن وأحلامه؟ فردّ عليه الإدناني بالجزم؛ غير ممكن مطلقا، فيما تلقّف الكلمة، عربي تيلمساوي آخر، ختم تلك الجلسة، متذمّرا من تشدّد الجزائر على حدودها، كونه كان يُخطّط مستقبلا مع بعض رفاقه من توارقنا، أن يطمعوا بالتهريب.

يغلب علينا – نحن تماشق أدغاغ وتيلمسي ومَنَكا وآير – النزوع نحو فكرة الوطن المستقل المنفصل عن مالي والنيجر، وبالتالي لا يُستبعد، أن هرولتنا لنداء مغمّر القذّافي، وقَبولنا التجنيد أو قُل؛ صفقة الغَرَر وهذا هو المؤكد، ودخولنا معسكر بني وليد أول مرة، وبعده معسكر 2 مارس ضواحي العاصمة طرابلس؛ كان بداعي هذه الأغنية المُطربة حقا.

أما غالبية جيراننا من عرب أزواد، وليسوا كلهم طبعا، مصابون بفتنة الدّنيا، والتنافس في شطارتها، ومن كان يعتقد هذا المذهب، لا بُدّ له والله أعلم، من سلوك طريق سريع مختزل للفضّة، كما يقول العرب لوسم الدراهم بحسّانيتهم اللّطيفة، ولا سبيل آخر؛ غير تراباندو التهريب أو الفرودْ! كما يطلق عليه بعضنا.

لا أنكر أن الزعامة الأزوادية بليبيا، المنسّقة لفكرة وطن الأزواد، مع سغيد القشّاط اللّيبي، كان فيها لفيف معتبر من إخواننا عرب أزواد، كقبيلة كنتة، وعرب النيجر، خُذ مثالا أقوى؛ ألم يُقتل الشهيد سيدي خيبلّلة الكنتي من طرف حكومة مالي خلال تداعيات ثورتنا المجيدة بالأزواد؟ وهذا ليس قليلا.. إنما أتحدّث عن السواد الغالب، حتى لا أُقوّلُ أو ألقى باللائمة من الجيران الحسّان، بإغماط جهدهم في ثورتنا المجيدة؛ يقول بادي دائما.

بلا مواربة في الكلام؛ من رغِب بالعيش ورضيَ القسمة والعافية، آثر البقاء بالجزائر طبعا، أما من يتطلّع لغد جديد بكيدالْ، وغاوْ، وتمبُكتو، وتاودني، ومَنَكا، وأغادزْ، ويُمني النفس بالوطن، فدوّخته مهلوسات القذّافي المركّزة، حتى دخل تلك المعسكرات جذلا يشطح بلا وعي.

يقول سُوخا رفيق بادي إلى ليبيا؛ القذّافي له شيكولاطة شَهدة المذاق، عرف نقطة ضعفنا، واشتهاء لذّة بنّتها على ألسنتنا، فرماها لنا.. الأكيد أن خلطة هذه الطبخة اللّذيذة، انتقى عطورها وتبّل فوحة قِدرها؛ سغيد القشّاط كليم القذّافي، مع مجموعة أزوادية من بني جلدتنا، آمنت بقضية التحضير لوطننا المعسول.

شاع في تلك الفترة بين فاماميستْ دول الساحل بليبيا؛ إن التشكيلة الأزوادية

الميمونة المشرفة على معسكري بني وليد، و2 مارس، كانت تتشكّل من خمس فصائل، رُعيت فيها محاصصة أثنية الأزواد وجغرافيته.
الفصيل الأول؛ يتعلّق بتوارق النيجر، الثاني؛ عرب النيجر، الثالث؛ توارق مالي، الرابع؛ عرب مالي، الخامس وهو الحاسم؛ موريتانيون أمهاتهم أزواديات تارقيات، فالغالب على الفصائل الأربعة الأولى، نشأة البادية ونقص التعليم النظامي بتلك النواحي، لذلك وجد الفصيل الخامس فرصة لإدارة أزمة الوطن الموعود، بحكم اقتراب هذا الفصيل الأخير منهم، مما سهّل على هذا الفصيل الموريتاني، إحداث التوازن الإثني بين التوارق والعرب هذا من جهة، ومن جهة ثانية معايشة هذا الفصيل الأخير لأسباب الحضارة بنواكشوط، فضلا عن ذكاء هذه الطائفة، مع ما أتيح لها من سُبل التحصيل العلمي والتشوّف الثقافي، الذي يطبع أهل هذا القطر الموريتاني عموما، هذه هي خصائص الزعامة، التي مُنح على أثرها؛ قيادة الملف الأزوادي بليبيا القذّافي.
يتوجّب على من تصدّر لفصيل القيادة الأزوادية، أن يتحدّث العربية الفصيحة، الفرنسية، الحسّانية، التماشقتية، وبعض اللّهجات الأفريقية؛ كالهاوسا والزّرْما والبامبارة وغيرها. هكذا تمكّن بعض القادة الأزواديين وبلا عناء، أن يدخلوا مطابخ ومراميط القذّافي؛ كطُهاة مهرة في صناعة الوجبات الشّهية.
تتكون تشكيلة فريقنا الأزوادي التارقي والعربي المنضوية تحت لواء من سنحتْ لهم الأيام بحيازة ذلك التلوّن الأثني والثقافي للأزواد، كما عند الفرقة الناجية الخامسة؛ يقول بادي.. التي طبعت أطيافها، ألوان توارق إفوغاس وإدنان، وإمغادْ، وقادة من بعض القبائل العربية المالية ككنتة وبعض الأتواج وغيرهم، وتمثيل عن توارق آير النيجر، وعربها أيضا.
بيد أن القذّافي أفرد لهذا الفريق القيادي المُسلطن، مكتبا خاصّا بناحية سوق الثلاثاء بالعاصمة اللّيبية طرابلس، بعد لقاء تأسيسي بمدينة خُمس القريبة من طرابلس سنة 1980، حيث وُضعت الفكرة على الطاولة جاهزة للتبنّي، التي مفادها اقتراح المفاوض اللّيبي على الأزواديين (النيجرومالي) فكرة؛ تشكيل النواة الصّلبة والأساسية لما عُرف؛ (الجبهة الشعبية لتحرير الصحراء العربية الوسطى)!! هذه الجبهة التي وقع حولها وحواليها خلاف كبير جدا، في معسكر بني وليد، بين رفاق بادي من التوارق والقادة اللّيبيين.
كما أغدق قائد الفاتح، على هذا الطّاقم السياسي الأزوادي، بالإقامة الفاخرة

في فندق (هايتي) بالعاصمة طرابلس، حيث تتم دراسة معظم القضايا الطويلة المتشعبة، التي يطرقونها بالمكتب نهارا، وينهونها ليلا بهذا الأوتيل الفخم.
بُنيت الفكرة على مُعطى غنيمة ثمينة جدا، على الأقل هكذا تصورها الأزواديون، في غمرة لهفتهم على الوطن الانفصالي، وقد تجلّت تلك العطيّة؛ في تشجيع القذافي بداية لأزواديي النيجر، وتحريضهم على فكرة التمرّد والانفصال عن حكومة نيامي؛ لكن انفصاليي مالي، تلقّفوا اللّقمة ساخنة بكل براعة، وفرضوا أنفسهم على مسرح الأحداث بليبيا.
هكذا كانت البداية في فتح معسكر بني وليد لتجنيد الأزواديين، الذي يبعد عن العاصمة طرابلس حوالي 160 كلم جنوبا، وما تلاه في مرحلة لاحقة؛ فتح مخيّم بَدْر لاحتضان الأسر والعوائل الأزوادية نواحي جبل نالوت، إضافة إلى فتح معسكر آخر للتدريب، قرب العاصمة طرابلس في مرحلة تالية، نُعت بـ2 مارس؛ حسب قول بادي.

***

الصدّيق حاج أحمد
مَنّا، قيامة شتات الصحراء
دار الدواية ، الجزائر 2021
الترقيم الدولي: 978-9931-9748-5-7

حجر السعادة، أزهر جرجيس

ملخص الرواية:

تدور أحداث رواية "**حجر السعادة**" بين مدينتَي الموصل وبغداد خلال الفترة الزمنية 1962 ـ 2018. كمال توما صبي يهرب بعد غرق أخيه الأصغر في نهر دجلة، خوفاً من بطش أبيه. يختبئ كمال في بستان الجن وفي جوف ذلك البستان الرهيب يعثر الصبي على حجر صغير، يلتقطه في لحظة تسبق هروبه في شاحنة متجهة جنوباً صوب العاصمة، حيث يشرع بالبحث عن مأوى. توصله قدماه لدى "خان الرحمة" وينشأ هناك في جو ملبد بالفقر والخوف، لكنه يكتشف ضالته في ذلك الحجر العجيب الذي يعينه على الاستمرار، فيواصل الحلم ويتعرف على مصور محترف، هو الذي سيضعه في موعد مع قدره، كإنسان وكمصور. يصبح كمال مصوراً جوالاً يحمل الكاميرا ويجوب الأسواق والأزقة مؤرخاً حياة الناس والمدينة. ومع مضي السنين ومرور البلاد في منعطفات حادة، تحتل الميليشيات الحي الذي يسكن فيه كمال، لتنقلب حياته رأساً على عقب بعدما يداهم الخوف سلامه الشخصي الذي حاول دوماً الحفاظ عليه.

أزهر جرجيس كاتب وروائي عراقي من مواليد بغداد، العراق، عام 1973. عمل صحفياً في العراق منذ العام 2003 ونشر العديد من المقالات والقصص في الصحف والدوريّات المحلية والعربية. ألّف كتاباً ساخراً عن الميليشيات الإرهابية في العراق، عام 2005، بعنوان "الإرهاب.. الجحيم الدنيوي" تعرّض بسببه إلى محاولة اغتيال اضطر على إثرها للهرب خارج البلاد. هاجر إلى سوريا ثم الدار البيضاء قبل أن يصل إلى منفاه الأخير في مملكة النرويج ويقيم فيها بشكل دائم. من مؤلفاته مجموعتان قصصيتان: "فوق بلاد السواد" (2015) و"صانع الحلوى" (2017)، وروايته الأولى "النوم في حقل الكرز" (2019) التي ترشحت إلى القائمة الطويلة للجائزة العالمية للرواية العربية في العام 2020 وتصدر نسختها الإنجليزية عن منشورات بانيبال قريباً. "حجر السعادة" (2022) هي روايته الثانية. يعمل في الوقت الحالي محرّراً أدبياً ومترجماً بين اللغتين العربية والنرويجية.

مقاطع من رواية
"حجر السعادة"

الفصل الثاني
حارس البستان

كنت في الثامنة حين عرفت الطريق إلى بستان الجن. حدث الأمر في صيف العام 1962 بعد حماقة كنت قد ارتكبتها في سوق العطارين. السوق الطويلة التي تصطف على خاصرتيها محال العطارة وباعة الزبيب والأعشاب، وتنبعث منها رائحة الغار المخلوطة بروائح الكاري والبخور. كانت زوجة أبي تبيع على أصحاب المحال هناك مكانس القش وليف الحمّام المحاك من خيوط الصوف، لتشتري بثمنها الزيت والملح والسكر. لم يكن لها دور في تلك الصفقات التي لولاها لرمينا على أرصفة التشرد، فأختي الكبيرة، جانيت، هي من تصنع المكانس وتحيك الليف، وأنا من يحمل البضائع ذهابًا وإيابًا.

كنت أتبع زوجة أبي مثل الكلب مقابل أن تشتري لي قطعة زلابية، وكان منظري، واللعاب يسيل لمشهد قطع الحلوى الذهبية المرصوفة فوق بعضها بإتقان، مثيرًا للشفقة. لكني لم أر مشفقًا واحدًا في تلك السوق قط. كان الباعة يكنّون لي كل الاحتقار ويتعاملون معي بمنتهى الإهمال وكأني حصاة عالقة في كعب حذاء. ليس هذا فحسب، بل يعمد بعضهم إلى سؤال زوجة أبي عن أخي الصغير دون رعاية لمشاعري!

ـ كيف حال ريمون؟

ـ لماذا لا تجلبينه معك إلى السوق!

ـ واه واه! يقولون عنه أشقر!

ليس أشقر أيها البائع البدين، بل أصفر باهت وأسنانه بارزة كأسنان الأرنب، لكنكم منافقون، كنت أردد في سري. أما هي فتجيب، خشيةَ العين عليه، بأنه مريض ولا ينام الليل، ثم لا تنسى أن تشتري له الحلوى. كانت تشتريها له وحده، بينما تدس في فمي علكة رخيصة وتقول بمكر الشياطين:

ـ أنهِ ما في فمك أولًا ثم أشتري لك ما تريد.

علمًا بأن ما أريده ليس صعب المنال إلى هذا الحد؛ قطعة زلابية فحسب.

المثير للحنق أن خداع هذه المرأة لم يكن سهلًا، بل واحدًا من المستحيلات السبعة، إذ كلما تحاذقت وابتلعت العلكة وأخبرتها:

ـ انتهيت يا خالة.

أجابتني بحنان زائف:

ـ أووه عزيزي! لقد نفد المال.

ثم قطعت لي وعدًا كاذبًا:

ـ سأشتري لك الزلابية في المرة القادمة.

فيمر النهار ثقيلًا وأنا أراقب قطعة الحلوى في يد أخي، بانتظار أن تسقط ويأكلها النمل.

أنا أحب أخي، لكن قسوتهم جعلتني أفضّل النمل عليه.

رأيتها ذات مرة تشتري له مكعبات زهرية من الحلقوم المدوف برذاذ النشأ، وتخبئها في الكيس. جذبت عباءتها إذ ذاك للتذكير بأني موجود:

ـ خالة، خالة، وأنا؟

التفتت وأطلقت الكذبة ذاتها:

ـ لقد نفد المال، لا تحزن، بالمسيح سأشتري لك الزلابية في الجمعة القادمة.

وجاءت الجمعة الموعودة ولم تفعل، ثم جاءت التي بعدها ولم تفعل.. وهكذا حتى طفح بي الكيل وقررت ارتكاب حماقة ستقودني فيما بعد إلى بستان الجن.

في ذلك اليوم الساخن من أيام القيض اللاهبة، كانت زوجة أبي قد باعت ما لديها من بضاعة ووقفت لتشارك بائع الحلوى حديثًا جانبيًا. كانا منغمسين في الحديث إلى حد فقدان الشعور بوجودي، فما كان مني إلا أن اعتليت الدكة ومددت يدي وسرقت. خطفت من أمامهما قطعة زلابية وأخفيتها في جيب السروال دون أن يلتفتا. وحالما انتهى الحديث وابتاعت من السوق ما تحتاجه، حمّلتني الأكياس وتبعتها خائفًا أتلفت.

في الطريق، راودني شعور بأن قطعة الزلابية، وبسبب الحر الشديد، قد بدأت بالانصهار داخل الجيب لتلتصق بالقماش، مما دفعني للتباطؤ في المسير تحينًا لفرصة إخراجها والاطمئنان عليها. لكن زوجة أبي انتبهت لتصرّفي الغريب فاستدارت نحوي لتزجرني قائلة:

ـ تحرّك يا غبي.

ـ حاضر، خالة.

وصلنا المنزل أخيرًا، ورميت الأكياس في المطبخ وركضت إلى السطح متحججًا بالاطمئنان على حماماتي وسقيها الماء. اختبأت في قن الحمام وأخرجت قطعة الحلوى. كان حالها سيئًا وتلتصق بها خيوط صغيرة وشعيرات وأتربة لا أدري

من أين جاءت واستقرت في زوايا الجيب. إلا أن سوء حالها وخراب طعمها، لم يمنعاني من التهامها، أكلتها على دفعتين ومسحت على بطني كما يفعل الأغنياء بعد وجبة دسمة.

لكن؛ ولأني أحوز من النحس ما يكفي لإحراق قشة تطفو فوق الماء في يوم ماطر، كُشف أمري. لا أدري كيف حدث ذلك، إلا أن المرأة الماكرة سارعت للوشاية بي لدى أبي وانقضى الأمر. كانت جالسة على الغداء بوجه عبوس وبوز ملتو نحو جهة الشمال مبدية عدم الرغبة في تناول الطعام.

سألها أبي:

ـ ما بكِ؟ لماذا لا تأكلين؟

فقالت له بنبرة أسى بالغة الإتقان:

ـ لا أشتهي الطعام، شبعت من القهر.

ـ قهر؟! من ماذا؟

ـ لا شيء، دعك مني الآن وأكمل طعامك، لا أريد أن أنغص عليك.

قال وهو يقضم رأس بصل ويردفه بكسرة خبز:

ـ قولي ما عندك يا امرأة، مقهورة من ماذا؟

طأطأت رأسها بخبث وتنهدت قائلة:

ـ مقهورة من ابنك.. ابنك حرامي يا توما.

آه، كم كانت قاسية تلك الجملة القصيرة!

توقف توما عن تدوير الطعام في فمه وصفعني بكفه الثقيلة صفعة ما زال أزيزها يرن في أذني. ثم، ومن دون أن يعي الأسباب التي دفعتني لخطف قطعة الحلوى التافهة من أمام البائع، أمسك بقفاي وجرجرني كالأسرى نحو فناء المنزل. علّقني هناك، على جذع شجرة اليوكالبتوس وأخذ يقشّر جلدي بعصا التأديب. كان لسع الخيزرانة الممشوقة قاسيًا، ولا شيء يفوقه في القسوة سوى نظرات التشفي في عين تلك المرأة الحائزة على الميدالية الذهبية في أولمبياد المكر والخديعة.

أنزلني في النهاية ورماني في الشارع مردّدًا خلفي:

ـ تف عليك وعلى أمك يا ساقط!

حتى اللحظة، لا أدري لمَ كان يصفني أبي بالساقط، علمًا بأني كنت حينها في عمر لا يعد كافيًا لممارسة السقوط! كما لا أدري لم هو غاضب منا على الدوام، علمًا بأن رفاقه يصفونه بالرجل الأنيس، الذي لا يقصر في مشاركتهم ساعات الأنس والبهجة!

لكن ما جدوى أن يكون الآباء مبتهجين خارج أسوار المنزل فحسب؟

كان أبي واحدًا من أولئك الآباء الذين يخلعون معاطف بهجتهم لدى الباب ليبدلوها بجلابيب الوحشة والنفور والغضب. مع أول خطوة داخل المنزل، مع أول نحنحة، يُصاب مزاجه بالحمى، فيقطب حاجبيه ليغدو شخصًا كئيبًا، عبوسًا، واجمًا لا طاقة له على احتمال أنفاسه. ثم لا يطيل البقاء بيننا لأكثر من ساعتين. كان عاطلًا عن العمل، يخرج في الصباح إلى المقهى، ليعود وقت الظهيرة من أجل تناول طعام الغداء ثم الاستلقاء على السرير لأخذ قيلولة خاطفة، وهي فترة السخط وتعكر المزاج وارتفاع مستوى الحموضة في المعدة. فترة قصيرة تنتهي بصفق الباب والعودة حيث مقاهي العاطلين. أما المساء، فيُقضى في خمارة سرية خلف أزقة المدينة، يحرس بابها كلب سمين مترهل الأوداج يعرف الزبائن كما يعرف أبناءه.

خرجت إلى الطريق حافيًا ذات مرة وتقفيت أثره. حينها رأيت بأم عيني كيف يتسللون كاللصوص نحو تلك الخمارة، وكيف أن الكلب يفز لتحيتهم واحدًا واحدًا. غير أني لم أجرؤ على الدنو أكثر حتى جاء اليوم الذي أجبرت فيه على ذلك. كانت الحمى يومذاك على وشك أن تخطف أختي الكبيرة، جانيت، فذهبت لإخباره. أتذكر جيدًا كيف نبحني الكلب اللعين حينها، وكيف زجره أحد السكارى الخارجين، الذي لولاه لما كنت قد دخلت.

كانت دهشتي بالمكان كبيرة. جدران حجرية مطلية بأصباغ البوية الحمراء، وسقف منخفض تتدلى منه مصابيح صفراء يسقط ضوؤها فوق طاولات من الخشب متآكلة الأطراف. حول تلك الطاولات يتحلق رجال، بعضهم يلعب القمار، بينما يكتفي بعضهم الآخر بمزّ الخيار وشرب العرق. كانت قرقعة الكؤوس تمتزج بصوت الموسيقى الهادر من جهاز الغرامافون عند الزاوية لتصنع ليلًا خاليًا من الرتابة. أما في الطرف البعيد فتنتصب طاولة عالية تحمل زجاجات خمر وكؤوسًا رشيقة كأجساد الراقصات، يقف خلفها رجل حليق الشارب يمتلك بشرة قرمزية وعينين متراقصتين. كان شخصًا غريب الأطوار، سريع الحركة، ويعاني من قصر في إحدى أذنيه. قال لي مرقّصًا حاجبيه:

ـ تفضل، كتكوت.

جفلت منه، فابتسم وأردف:

ـ لن أعضّك، أخبرني ماذا تريد؟

ـ أريد أبي.

ـ من أبوك؟ قل بسرعة.

ـ توما.

ـ آه، أنت كمال، إذن؟

ـ أجل.
أدار رأسه الصغير يمينًا وشمالًا مغمغمًا:
ـ توما.. توما.. توما..
رقّص حاجبيه من جديد وأشار بيده:
ـ هناك، عند الطاولة في الزاوية.
اندفعت نحو الطاولة المدفونة تحت غمامة الدخان وصوت الموسيقى. وجدت أبي جالسًا مع ثلاثة من رفاقه يدخنون السجائر ويشربون العرق وأمامهم ورق اللعب. كانت بيده كأس توشك أن تفرغ، وكان واضحًا للرائي أنه قد خسر كالعادة، وجلس يوشل وعيه بشرب العرق. دنوت منه وهمست في أذنه:
ـ بابا.. بابا..
ـ وجع، ماذا تريد؟
ـ جانيت مريضة.
لم تصدر منه نأمة تدل على أنه مزوّد بحس الأبوة!
أعدت عليه الكلام بعدما رفعت زر صوتي قليلًا:
ـ بابا، عليك أن تأتي معي.. جانيت مريضة.
أجهز على وشالة الكأس ورفع رأسه متثاقلًا، ثم أشار لي بإصبعه نحو الباب:
ـ اذهبْ، سأتبعك.
لكنه لم يفعل. وحق الله لم يفعل. بل عاد بعد انتصاف الليل مترنحًا وفمه يرسل صفيرًا متقطعًا. وقف وسط المنزل ليتجشأ خمسة آلاف مرة قبل أن يكمل طريقه نحو السرير، ثم نام وارتفع شخيره. وعندما أفاق صباحًا، شتم جانيت لأنها مرضت!
يؤلمني القول بأن أبي كان زبونًا دائمًا لدى الحانة؛ في كل ليلة يذهب هناك، ليشارك جلّاسه الكأس والقمار والضحك، فتكون النتيجة فقرًا مؤبدًا ومنزلًا من جحيم.
في ذلك النهار، لم يكتف بضربي، لو فعل ذلك لمرّ الأمر بلا دموع، لكنه بصق على ذكرى أمي، فجلست باكيًا على دكة الباب. كانت الشمس حارقة ولا ظلال تفيء العتبات، أما دخول المنزل فممنوع طالما الجلاد خلف الجدران. فكرت بالقنطرة، هناك، يمكن للمرء أن يستفيء بظل السقف الحجري ريثما يخجل وجه الشمس ويبتعد. لعل من بنى هذه الحارات كان قد وضع في حسابه أن شمس العراق حارقة، فوهب الأزقة بعض القناطر. بيد أني لم أستفد شيئًا حين ذهبت هناك، فبعض الصبية الأشداء يلعبون الكرات الزجاجية، ومن يقترب يسحقون رأسه. شاهدت في الأثناء صبيًا من ذوي الأجساد النحيلة يحمل بيده جزوة ،

ويسير، كأي كائن ضعيف، قرب الحائط، ثم يعبر القنطرة بحذر شديد كي لا يزعج لعبهم. أعرفه جيدًا، كان طفلًا يتيمًا يسكن في الزقاق الخلفي، في منزل أشبه بالخرابة، رفقة أمه وجدته العمياء. تبعته بذات الوتيرة حتى خرج من المحلة وسار متجهًا صوب بستان الجن.

كانت المسافة بين محلة المياسة التي نقطنها وبين بستان الجن تبلغ ستمائة متر تقريبًا، إلا أن واحدًا منا لم يجرؤ على الذهاب هناك، وإلا سيحترق أو يفقد عقله كحد أدنى. تروي عجائز المحلة بأن خمسة أطفال تقريبًا كان الجن قد تلبّسهم حين دخلوا البستان، بينما احترق ثلاثة آخرون وتفحّمت أجسادهم. لذا صار من النادر أن تجد طفلًا يجرؤ على الاقتراب من السياج المشيّد بالحجارة والتمائم.

في غابر الزمان، لم يكن الأمر كذلك. كان بستانًا مهجورًا لا وريث له، تتناثر على صدره أشجار توت يابسة، ويمر الناس بالقرب منه دون خوف وريبة أو فتوى تشرّع مرورهم. لكن حادثة وقعت جعلته مكانًا محرمًا، ومنحته اسمه الذي هو عليه الآن. حصل ذلك عندما أقدم أحد الفلاحين على دفن ابنته الصغيرة حيّة تحت شجرة توت لاكتشافه المتأخر بأنها ابنة حرام. تقول النمائم إنها جاءت عن طريق علاقة غير شرعية بين الزوجة الخائنة وسائس خيل لدى واحد من تجار المواشي الأغنياء، وعندما كُشف الأمر، هربا معًا. طارت الفضيحة وقتها وحلقت في الأرجاء، مما دفع التيس الغيور إلى وأد الطفلة المسكينة والرحيل مجللًا بالعار. لكن وبعد مرور فترة وجيزة، تفاجأ الجميع بأن أصواتًا تشبه صوت بكاء الأطفال أمست ترتفع من البستان ليلًا. ولأنها حادثة غريبة لم تشهد الموصل مثلها من قبل، اختلف الأهالي في تفسيرها، وانقسمت المدينة إلى فريقين؛ فريق يزعم بأن لعنة أصابت البستان بسبب ابنة الحرام التي نجّست ترابه، وآخر يدّعي بأنها علامة من الله ودليل على طهارة الفتاة وبراءة أمها الهاربة. واصل الفريقان عراك التفسير، وارتفع السباب وتطايرت الشتائم، كما هي العادة لدى كل خلاف تافه، حتى جاء في النهاية إمام جامع الخاتون وأخمد شرارة الحرب التي تنبأ الجميع بأنها ستكون طاحنة. جمع الأمام الناس وصعد المنبر وأفتاهم بأن الأمر لا يتعلق بمدفن الفتاة أيها الغافلون، بل بالجن. قبيلة من الجن الأزرق استغلت غفلتكم وانغماسكم في الشهوات والرذائل، فسكنت البستان وأمست تصدر الأصوات التي تسمعونها في جوف الليل، ولا حل أمامكم سوى التكاتف لمواجهة الخطر الداهم الذي يحيط بالمدينة. وبعدما انتهى من خطبته الصاعقة تلك أمرهم بحمل المعاول واللحاق به لتشييد سياج من الحجارة والطين حول البستان. وفور ارتفاع السياج، دسّ تحته بعض التمائم، ثم أفتى بحرمة دخوله حفاظًا على

سلامة البلاد والعباد.

رأيت الصبي يلج البستان من خلال فتحة سرية صنعتها الثعالب والكلاب. كنت خائفًا، لكن جرأته، وهو هزيل وتافه مثلي، دفعتني لتجاوز خوفي قليلًا والولوج خلفه. تفاجأت بالبستان شاسعًا وأخضر، تتناثر فوقه أشجار التوت والفستق والزيتون، وتشقه في المنتصف ساقية يسبح فيها البط ويدب على كتفيها النمل والدعاسيق الملونة. عصافير الدوري تعشش بين الأغصان، والغربان تنط هنا وهناك بسلام مفرط لتلقط أرزاقها على الثمار الساقطة بلا قطاف. أما العشب فكثيف ولامع، وفي المنتصف شجرة توت كبيرة ووارفة، تتقدمها ربوة صغيرة تنبت حولها أزهار النرجس.

التفت نحوي وابتسم.

ـ تعال، لا تخف، لوّح بيده.

تبعته عند الساقية وسألته بهدوء:

ـ ألا يوجد جن؟!

ـ أي جن؟! الكبار يكذبون.

***

أزهر جرجيس
حجر السعادة
دار الرافدين، أبريل (نيسان) 2022
بغداد، العراق، شارع المتنبي، عمارة الكاهجي
الترقيم الدولي: 9789922671246
info@daralrafidain.com
www.alrafidain.com

كونشيرتو قورينا إدواردو، نجوى بن شتوان

ملخص الرواية:

تحكي رواية "**كونشيرتو قورينا إدواردو**" قصة فتاة ليبية ونشأتها في ليبيا، وتأثير السياسة والحرب على حياتها وأسرتها. تنتمي البطلة إلى عائلة من أصول يونانية وهم أقلية عرقية ليبية لديهم ثقافتهم الخاصة والمتميزة داخل المجتمع الليبي متعدد الأعراق. من منظور البطلة، نرى المجتمع الليبي وتبدلاته منذ سنوات السبعينيات وصولاً إلى الثورة التي أسقطت القذافي سنة 2011 والحرب الأهلية سنة 2014. تصف الرواية مقتل الأب خلال فترة ما يُعرف بالثورة الثقافية في ليبيا، وتأميم مصنع العائلة وانعكاس التغير الاقتصادي الكبير الذي حدث على حياة الأسرة وأفرادها. تعرج الرواية على عدة مواضيع، منها يهود ليبيا وقصة خروجهم أو طردهم سنوات الستينيات؛ الحرب الأهلية وانعكاساتها على النسيج الاجتماعي؛ تهريب الآثار والعبث بالإرث التاريخي لليبيا؛ والتلاقح الثقافي والعرقي بين شعوب البحر الأبيض المتوسط. الرواية ترسم بانوراما التحولات التي عرفتها ليبيا منذ ما سمي بالثورة إلى أن انهارت هذه الثورة نفسها وفتحت البلاد أمام انكسارات كبيرة.

نجوى بن شتوان أكاديمية وروائية ليبية من مواليد أجدابيا، ليبيا، عام 1970. كانت أول كاتبة ليبية تصل إلى القائمة القصيرة للجائزة عن روايتها "زرايب العبيد" (2016) في العام 2017. صدرت لها ثلاث روايات أخرى هي: "وبر الأحصنة" (2007)، "مضمون برتقالي" (2008)، و«كونشيرتو قورينا إدواردو" (2022). تم اختيارها ضمن أفضل 39 كاتباً عربياً تحت سن الأربعين في مشروع بيروت 39 الذي نظمه مهرجان هاي، وأدرجت قصتها "من سيرة البركة والبيانو" في أنطولوجيا "بيروت 39". فازت بزمالة بانيبال للكتابة الإبداعية سنة 2018، وترشحت إلى القائمة الطويلة لجائزة الملتقى للقصة العربية سنة 2019 بمجموعتها القصصية "صدفة جارية" (2019). كما فازت مجموعتها القصصية "كتالوج حياة خاصة" (2018) بجائزة English PenTranslates سنة 2019.

مقاطع من رواية
"كونشيرتو قورينا إدواردو"

خلطت أمي بيننا في البانيو فقررت منذ تلك المرة طلاء أظافري باللون البنفسجي و طلاء أظافر أختي باللون الأحمر ليسهل تمييزنا.
ثم ميزتنا من حركة أيدينا بعد أن لاحظت أنني أمد يدي اليمنى لأخذ الأشياء، بينما تمد توأمي يدها اليسرى.
كان ذلك قبل أن نبلغ عمر الكلام، ويُطل فارق آخر، إذ بدأت أنا الكلام في سن العامين تقريبًا، بينما لم تنطق أختي بكلمة!
لم يكن هناك من سببٍ سوى أنها تأخرت في الكلام وبعض الأطفال يتأخرون فلا مسوِّغ للقلق، قال الأطباء، إلا أن القلق كان طبيعة في العائلة، أخذت جدتي أختي للأطباء مرة بعد أخرى وذات مرة حصلت على وصفة من امرأة في غرفة الانتظار فأخبرت جدي عنها، فذهب جدي إلى الجزار وجلب سبعة ألسنة لسبعة خراف كما تقول الوصفة "علَّ عقدة لسانها تفك.
طهت جدتي الألسن السبعة وأطعمتها إياها وقد تقصَّدت أن تكون جائعة لكي تأكل أكبر قدر منها. أكلت أختي على مرتين وقيل إنني في المرة الثانية شاركتها الأكل، وتساءل جدي عمَّا إذا كان الأكل من الوصفة سيطيل لساني زيادة عن طوله، فضحكت جدتي مبررة أكلي.
هذه بلاد يحتاج فيها المرء إلى لسانين كي يستطيع أن يأخذ حقه. فدعها تأكل.
لا أعلم بعد ذلك ما الذي فك عقدة لسان أختي، فنطقت. هل ألسنة الخراف السبعة أم الوقت الذي نصح به الأطباء!؟
لقد تكلمت أختي لكن كان لديها تأتأة!
حاولت العائلة تحريرها من ذلك العيب الذي شاب طريقتها في الكلام بكل السبل، خاصة في عمر ما قبل المدرسة.
لكن العيب لم يترك كلامها، وذهب معها إلى المدرسة، وفي المدرسة نشأ الخوف والحرج فلم أتركها تواجههما وحدها، أزرت أختي إلى حد أني تعلمت التأتأة مثلها لألغي الفارق بيننا وأمنع عنها تنمر المتنمرين، وحتى لا يعلق بها ذلك الوصف البغيض «المتأتئة».

تصدت أمي لي خشية أن تصبح التأتأة عادة في كلامي، لكني أجدتها كما يجيد المرء لغة ثانية. وصار من الصعب تمييزنا بعضنا من بعض بالشكل أو بالكلام.
بل إننا تلاعبنا بالعائلة فتبادلنا طلاء الأظافر بيننا واستمتعنا بسرِّنا الصغير.
أحمر لي وبنفسجي لها.
لم نترك شيئًا يميز بيننا. حتى ما عاد لشيء أن يكون فرقًا سوى حياة إحدانا أو موتها.

قطار ليبيا

أول مرة عرفت فيها آمال ابنة أمزا[1] مسعود، تعود إلى زمن قديم لا أتذكر شيئًا قبله.
أذكر أنها في الفويهات، وأنها كانت في الصباح وكانت رائحة البيت طعامًا، وأختي أمينة تساعد أمي في المطبخ والعائلة ستجتمع لدينا على الغداء.
كنت ألعب في البراح الوسيع أمام القيلات مع شقيقتي حين لاحت فتاة ترتدي بنطالًا جينز و بلوزة بيضاء، كانت طويلة جميلة بشعر منسدل على كتفيها، ابتسمت لنا حالما رأتنا فركضنا هاربتين منها، نادتنا باسمينا عارضة علينا الحلوى والهدايا حتى لا نكمل الهرب، فربضنا خلف شجرة ليمون نتدبر خيارنا، هل نعود أم نمضي في قرار الاختباء من الفتاة الغريبة.

هل كانت إحدى جنيات المكان اللائي يغلقن الفراغات هنا كما يقول أخي أيوب؟ وهل ترتدي الجنيات ثيابًا معاصرة كالتي ارتدتها الفتاة وتتكلم مثلها وتجلب الحلوى والهدايا من ألمانيا وتعرف اسمينا؟
قالت أختي: أظنها آمال ابنة أمزا مسعود.
وضعت يدي على فمي وغمغمت: يااااه.
لم أتصور أن لنا ابنة عم جميلة إلى ذلك الحد.
كانت تلك المرة أول مرة أرى فيها آمال وأدركها بعد أن غادرت بنغازي وأنا صغيرة، وطال غيابها وغياب العائلة. سمعنا أنها كانت بسبب حادث سير مأساوي تعرضت له عائلة عمي. توفيت فيه زوجة عمي السيدة كارلا وقضت

[1] أمزا في لهجة كريت تعني عمي.

آمال جراءه فترة علاج طويلة في برلين.
لم نكن أنا وأختي قد قابلنا السيدة كارلا، فقد جاءت إلى الدنيا وغادرت ولم نرها إلا في الصور. لكني أحببت ما خلَّفته لنا وكان يشبهها، آمال ابنتها وابنة أمزا مسعود بجمالها ولطفها واختلافها.
ملأ وجودها علينا المكان الخالي، وكانت أوقاتنا معها سعيدة ومبهجة، كانت تقضي معظم وقتها في بيتنا هي وأمزا مسعود وحين تعود إلى ڤيلتهم للراحة والنوم تصحبني وأختي معها. تُدخِلنا غرفتها وتعطينا ألعابها وهي صغيرة، والأهم أنها كانت تتركنا نعبث بخزانة ثيابها، نرتدي الألبسة والأحذية العالية ونلتف بالشالات ونستغرق في التمثيل وعروض الأزياء متناسيتين الدنيا من حولنا.
كانت تتركنا نفعل ما نريد، وقد أهدتني القطار الكهربي الذي أحببته وسافرت به إلى كل الدنيا حين رأتني أطيل اللعب به.
حفزتني آمال دائمًا على الكلام حين علمت بالصعوبات التي أعانيها، لعبت معي بعض ألعاب اللغة لتجعلني أتكلم. وكنت أفعل ربما لأنني أحبها وأريد الحفاظ على اصطحابها لي إلى الأماكن التي تذهب إليها داخل بنغازي وخارجها وأريد كذلك أن تستمر في محادثتي كما لو أنني أختها الصغرى، فهي لا تطالبني بالحديث فقط كما يفعل الآخرون بل تتحدث إليَّ كصديقة.
ثم كبرت وصرنا نتكلم في التليفون سريعًا كلما اتصل بهم جدي وأمي، وكان حديثي خلال الدقائق الممنوحة لي مختصرًا في: متى تعودين إلى بنغازي؟
كانت أمينة وآمال صديقتان تتجالسان في ڤيرندا بيت عمي، كنا نسمع أحاديثهما عن الموضة والأزياء والحب والطبخ والأفلام والأغاني، وتتبادلان بعض النكات المشفرة، والأشرطة والكتب والمجلات، كنت أنا وتوأمي من نقوم بدور ساعي البريد بينهما؛ نأخذ من هذه ونحمل إلى تلك. لكننا قبل التسليم من كلتيهما نختبئ وراء الڤيلات لنستكشف الأشياء، اكتشفنا المكياج والعطور والقمصان وملابس داخلية ومجلات أجنبية فيها رجال ونساء يتبادلون القُبَل، أي أننا اكتشفنا القُبَل، وكانت أخطر اكتشاف حيَّرنا وأشعرنا بالخجل والحرج وجعلنا نطوي المجلات أسفل ثيابنا كي لا يراها أحد. كان الأشخاص الذين رأيناهم في المجلات ما بين أمينة وآمال أول مارأيناه من ذاك العالم المحجوب عن الظهور، والذي لا نعرف عنه سوى التكهنات، وقد سألت أختي: أليس هذا عيبًا؟
فقالت لي:

بلى، لكن في السر ليس عيبًا.
فسألتها : ألا نخبر أمي؟
فكان رأيها لا، إن أخبرناها فإننا لن نرى شيئًا جديدًا.
توافقنا على الصمت وعلى أن نظل نرى المزيد.
لكن أمينة اكتشفت أمرنا فاستجوبتنا استجوابًا شديدًا في غرفتها، حاولنا الإنكار ثم وجدت أختي الجرأة لتهددها بفضح الأمر لأمي ولأيوب إذا عاقبتنا، فهدأت أمينة وفتحت درجها وأعطتنا علكة وقالت إنها سامحتنا، لكننا لم نخرج من الغرفة إلا بعد أن عقدت معها أختي اتفاقًا يقضي باستمرارنا في خدمة ساعي البريد مقابل الصمت.
خضعت أمينة لابتزازنا أيامًا ثم غدت لا تفارق آمال.
كان العالم الموجود بين ضفاف المجلات وأشرطة الكاسيت عالمًا جميلًا ليس له مثيل في الواقع، عالم لا نراه إلا مختبئًا في الأكياس التي نحملها ذهابًا إيابًا ونحشر أنفينا فيها وكلما سألنا سائل ماذا تحملان، قلنا: كتبًا أو طعامًا.
أدركنا أن نصيبنا منه قادم لا محالة حين نكبر ونصبح هدفًا لفتيان المدارس والشوارع كما يحدث لأختي أمينة حين نمشي معها راجلين من جليانة إلى مركز المدينة.
ذات يوم كنا نحمل لآمال طعامًا، فرأينا شابًّا أمام ڤيلا أمزا مسعود، يقف إلى جانب سيارة جاكوار حمراء ويتحدث إلى آمال، لم نكن قد رأيناه من قبل. اعتقدنا لوسامته وأناقته أنه خرج من إحدى المجلات الإيطالية، تبادلت مع أختي نظرات متفاجئة وكأن المشهد كذلك خرج من إحدى المجلات وليس الشاب فقط، فآمال هي الأخرى كانت فاتنة الجمال وأي رجل يراها سيقع في شراكها.
تجمدنا في موضعنا حتى كأننا جذع شجرة لا يشعران بنا، راقبنا تطور المشهد كما يتطور في المجلات ببطء من الصفحة الأولى إلى السابعة، وكان كذلك لولا ظهور أمزا مسعود المفاجئ الذي دعسه فأعاده إلى الواقع وتحركت على إثره السيارة الحمراء المكشوفة، ولوَّح الشاب منها بيده لعمي وابنته قبل أن تتوارى ما بين الأشجار.
إنه خطيب آمال، هكذا أجابتنا أمينة، وكان أيوب غاضبًا من مجيء الخطيب إلى بيت عمي، حتى إنه هدد بضربه وتهشيم سيارته إن رآه مرة ثانية أمام الڤيلات.
تدخلت أمي ومنعته من أن يصدر عنه ما يزعج عمي وابنته، لكنه لم يُرع ولم يكف وزاد من مراقبة آمال والتربص بصاحب السيارة.

كان حانقاً ويبرطم بالشتائم.
ظل الشاب الوسيم ذو الشعر الكثيف المسدول إلى كتفيه، والقمصان الملتصقة بقوامه النحيل، وبنطلون شارون ستون يتردد على بيت أمزا مسعود في حضور عمي وغيابه وكنتُ ذات مرة موجودة في بيت عمي ألعب بالقطار في الصالة، حين رأيت «فيصل» وكان هذا اسمه، يدخِل يده داخل قميص آمال ويضمها ويقبلها، أكمل القطار دورته من دوني، كان شيئًا افتكني من طفولتي وجعلني أتساءل: لماذا يفعل الكبار هذه الأشياء الجميلة ويقولون لنا إنها «عيب»؟
لماذا يفعلون العيب طالما هو عيب؟ ولماذا يأتي الأطفال من العيب ويفرح الأهل بقدومهم منه؟
عندما بُحت بمشاهدتي لشقيقتي أقنعتني بأنه ليس عيبًا إلا لأننا أطفال والأمر سوف يختلف ما إن كبرنا، قالت أيضًا إننا يجب أن نأكل لننمو بسرعة. فصدقت كل ما قالت عن الحب والطعام.
صحبت آمال وخطيبها كثيرًا، وكأن العائلة اشترطت أن يكون هناك أحد منها معهما. حتى لو كان ذلك الشاهد صغيرًا ويعاني اللعثمة ولا يبوح للمستجوبين بما يريدون الحصول عليه.
أخذنا فيصل في سيارته الجاكوار المكشوفة مرارًا وجال بنا في المدينة جهة البحر، كانت يده في يد آمال وكان كثير الضحك ويغني مع المسجلة جميع الأغنيات الأجنبية. كانا يحبان قلب المدينة وكورنيشها ويفضلان الجلوس عند الرصيف البحري عند أطراف جليانة الفارغة من الناس، يتبادلان الهمس في وَلهٍ، بينما ألعب بألعابي غير بعيد منهما، وقبل ختام الجولة كان يشتري لنا آيس كريم لذيذًا من مثلجات «الرقريقي» ويدس شيئًا في كف آمال.
رأيت الكثير مما كان ممنوعًا على خطيبين. فالشاب لم يكن يغادر إلا وهو محمل بقبلات تكفيه أسبوعًا من آمال وهي كذلك.
أوصتني ابنة عمي بالسرية فحافظت عليها كي تستمر جولاتي معها أينما ذهبت.
فرحت بالأماكن التي زرتها والتي سأزورها من دون الحاجة إلى القطار الكهربي وحلمت بالآيس كريم الذي سأحصل عليه ما لم أفتح فمي بكلمة، لم لا؟ لن يكلفني ذلك شيئًا فأنا أعاني صعوبات النطق والكلام على أي حال.
ذات يوم دخلت ڤيلا أمزا مسعود حاملة مشطي ومنشفتي، حيث من عادة أمي أن ترسلنا أنا وأختي إلى آمال كي تمشطنا، وجدتها جالسة في الصالون بعيون

مبتلة وأنف محمر، كانت تبكي وحدها.
لم أستطع الكلام، اقتربت منها ووضعت يدي على كتفها، استمرت في البكاء حتى أبكتني معها، ثم انتبهت إليَّ فضمتني إليها، وقالت: لا تخافي، لم يحدث شيء وغسلت وجهها ووجهي.
تأتأت طويلًا لأسألها عمَّا بها، ولا أظنني قلت جملة واحدة مفيدة.
أخبرتني من تلقاء نفسها أن خطيبها اختفى من دون مقدمات، قيل إن أهله هرَّبوه إلى مصر بعد مداهمة الأمن بيتهم.
لم أفهم لماذا فعل الأمن ذلك، وماذا فعل الشاب حتى يأخذه الأمن؟
لم أفهم لماذا اختفى فيصل فجأة من حياة آمال وحياتي، ولم تعد آمال تجده حولها أو تجد السعادة، لم يُجب على التلفون، لم يأتِ ليودعها، لم تعثر عليه في نادي الملاحة أو مصيفها، لم يره أحد في مقاهي لَبْلاْد، بحثت عنه هنا وهناك، وبكت أحيانًا لأنه اختفى دون إخبارها، أو ربما لأنها تشتاق إليه وتفتقده.
بعد بضعة أيام من اختفاء صاحب الجاكوار أُغلق باب ڤيلا أمزا مسعود على دموع آمال وحيرتها وسافر عمي وابنته من جديد إلى ألمانيا البعيدة. لم يعد هناك آيس كريم، ولا حب منفلت من مجلة إيطالية وصلت ليبيا بالتهريب. توقفت المجلات وبقي سر اختفاء فيصل غامضًا وسكنت ڤيلا أمزا مسعود الأشباح التي يسرد أيوب قصصها، وسكنت محبة ابنة عمي قلبي وعقلي منذ ذلك الحين ولم يغير الزمن شعوري بها منذ أن بدأ.

***

نجوى بن شتوان
كونشيرتو قورينا إدواردو
منشورات تكوين (العراق)
الطبعة الأولى مايو 2022
بغداد، شارع المتنبي، بناية الكاهجي
الترقيم الدولي: 97899221775563
Takween.publishing@gmail.com
www.takween.com

أيام الشمس المشرقة، ميرال الطحاوي

ملخص الرواية:

تبدأ رواية "**أيام الشمس المشرقة**" بانتحار جمال، الشاب الممزق الهوية، وتنتهي مع انتحار ميمي الفتاة الإفريقية الناجية من مذبحة عرقية في بلادها، وما بين الحادث الأول والمشهد الأخير تدور أحداث الرواية في بلدة صغيرة متخيلة تُسمى "الشمس المشرقة"، التي تقع على الحدود الجنوبية الغربية لأمريكا، وتشهد سواحلها بشكل يومي عمليات تهريب العمّال والمهاجرين غير الشرعيين. تسلط الرواية الضوء على فئة مهمشة يظن الجميع، على عكس الواقع، أنها الفئة الناجية، وتمنح لهؤلاء المهمشين في المجتمع الغربي صوتاً، وتحفر عميقاً في أسئلة تخصهم. "أيام الشمس المشرقة" نموذج مثالي لتيهة الهجرة، لكنها، قبل كل شيء، رؤية الغريب التي تتمتع بالتمرد على الواقع الجديد، مع ذلك يخلق أسلوباً للتكيف مع قسوته.

ميرال الطحاوي كاتبة وروائية وأكاديمية مصرية، من مواليد المحافظة الشرقية، مصر، عام 1968، تعمل استاذاً للأدب العربي في كلية اللغات العالمية والترجمة بجامعة آريزونا الأمريكية، ومن أشهر رواياتها: "الخباء" (1995)، "الباذنجانة الزرقاء" (1998) التي حازت على جائزة الدولة التشجيعية في الرواية سنة 2002، و"نقرات الظباء" (2002)، و"بروكلين هايتس" (2010)، التي ترشحت للقائمة القصيرة للجائزة العالمية للرواية العربية سنة 2011، كما حازت على جائزة نجيب محفوظ سنة 2011 التي تمنحها الجامعة الأمريكية في القاهرة. ترجمت رواياتها إلى أكثر من عشرين لغة عالمية، ولها مجموعة قصصية ودراسات أكاديمية، وقد درّست في جامعات فرجينيا ونورث كارولينا وكلية العلوم في جامعة الفيوم.

مقطع من رواية
"أيام الشمس المشرقة"

دخلت "نِعَم الخبَّاز" إلى ممرات "الشمس المشرقة" بخطوات ثقيلة ومتعبة وحذرة، كان قلبها يدق بعنف ولم تجد لذلك سببًا واضحًا فواصلت السير في الطرقات التي تعرفها، توقفت قليلًا بعد أن لمحت أمام بيتها عددًا من سيارات الشرطة وسيارات الإسعاف يحيط بها عدد من أفراد طاقم الإغاثة الذين وقفوا بانتظارها، لمحت أيضًا بعض الجيران الذين صوَّبوا نظراتهم المرتبكة باتجاهها، أدركت "نِعَم" آنذاك أنها في مواجهة كارثة، لكنها لم تستطع أن تُقدِّر حجمها أو أبعادها، فالكوارث التي تحدث في الجوار يصعُب عدُّها أو تقدير حجم ما تسفر عنه من خسائر.

حين دخلت البيت، وجدت "نِعَم الخبَّاز" بِكْرها الذي جاوز التاسعة عشرة بقليل ممدَّدًا على الأرض وجهه إلى الأسفل والطلقة التي اخترقت دماغه خرجت من الخلف واستقرت في الحائط، رأت جسده الضخم ممددًا في بركة من الدم الطازَج الذي لم يتجمَّد بعد.

منذ عدة أشهر حدثت تلك الضجة أمام منزل جارتها "سوزانا"، بعد أن قُتلت ابنتها "يولاندا" بعدة طلقات من سلاح صديقها الذي قتل نفسه أيضًا وعبرت الجثتان في سيارة الإسعاف سريعًا، ولم يكن هناك وقت ليفكر الناس كيف ماتت "يولاندا" الصبية الجميلة ابنة الثامنة عشرة، تلك البنت التي عرفوها منذ كانت تلعب مع الصِّبْية حول تلك البيوت الخشبية المتناثرة، وراقبوا جسدها وهو يتفتح باكتمال ونضارة مثل ربَّات البهجة في الأساطير القديمة، ثم شهدوا خروجها المأساوي من الحياة.

شاهد البعض كيف بكت "سوزانا" بحُرْقة لأنها فقدت ابنتها الكبرى، ثم عادت إلى تنظيف البيوت وفتح صدرها للرجال الذين لم يتوقفوا عن خطْب وُدِّها ومواساتها في تلك المصيبة التي أَلَمَّت بها، ماتت البنت الجميلة وبقيت "سوزانا" في البيت نفسه، محت فقط آثار الدم عن نوافذ بيتها ثم فتحتها كأن شيئًا لم يحدث خلفها من قبل.

قبل ذلك بوقت قصير، شهدت "الشمس المشرقة" أيضًا مقتل "أوسكار" الذي كان يعبث في ماكينة الصِّرافة التي تجاور محطة البنزين، وتواجه الرصيف الذي يتكدس عليه عمال كثيرون كل صباح بانتظار فرصة عمل يومي.

في الحادية عشرة مساء تقريبًا عندما كان كل شيء يبدو ساكنًا في "الشمس المشرقة"، انطلقت رصاصة ما لتستقر في رأسه، وحين خرج الجميع ليتابعوا بقية المشهد، كانت جثة الشاب "أوسكار" ملقاة أمام ماكينة الصرافة، ولم يستطيعوا تقدير حجم النَّزْف على السُّترة الحمراء.

كما لم يستطيعوا التأكد أن الرصاصة قد أتت من جهة سيارة الشرطة التي لمحها البعض تغادر الموقع بسرعة، أم جاءت من جهةٍ أخرى؛ ليس مُهمًّا الوقوف حول التفاصيل، يسقط البشر برصاص طائش طوال الوقت في تلك التلال، يحدث ذلك داخل البيوت الخشبية الفقيرة؛ وبالتالي يُرجح أن يكون انتحارًا أو مشاجرة عائلية من تلك المشاجرات التي تحدث في "الشمس المشرقة"، وتؤدي إلى نتائج ينساها الناس بعد وقتٍ قصيرٍ لينشغلوا بغيرها.

تشتعل حوادث إطلاق النار كل مرة في أماكن غير متوقعة، فمنذ عدة أشهر شهدت إحدى المدارس الأوَّلية عراكًا مصحوبًا بإطلاق النار في غرفة مدير المدرسة أثناء اجتماع مجلس الآباء، انطلقت على إثره صافرات الإنذار وانبطح التلاميذ تحت الطاولات ترقُّبًا للإخلاء الأمني، حدث ذلك بعد مشاجرة بين عامل البناء الملون الذي تعود أصوله ربما إلى إحدى الجزر الكاريبية، والذي يتحدث بلغةٍ لم يستطع أحدٌ أن يفهمها، كان غاضبًا جدًّا وتفاقم غضبه في تلك اللحظة التي تيقن فيها من عجز المحيطين به عن فهمه، بعد نوبةٍ من الهياج، رفع سلاحه في وجه مدير المدرسة وهو يردد بشكل جنوني قبل كل جملة وبعدها: "هل تفهمني؟.. أنت لا تفهمني"، بالَ المدير في سرواله عدة مرات وهو يؤكد له بصدق: "نعم أفهمك.. إنني أحاول يا سيدي.."

بعد تلك الحوادث العارضة تحول إطلاق النار في الوادي إلى ترا يديا متسلسلة ذات طبيعة موسمية كالحرائق، لا يعرف أحد كيف تبدأ أو أين تنتهي، كان آخر تلك الحوادث هو ما شهدته مدرسة "مَونْتن ليك" الثانوية ذات صباح، حين قرر أحد الطلاب إطلاق زَخَّة من الرَّصاص المتواصل على جدران المدرسة، أصاب خلالها الشاب نفسَهُ وقتل بعض الطلاب العابرين، بعدها

أغلقت المدرسة أبوابها لعدة أسابيع ثم فتحت أبوابها بعد أن تأكد للجميع أن إطلاق النار صار جزءًا من الحياة في تلك الأرض، جزءًا من تقاليد التعبير عن الغضب والسَّأم، ذلك الغضب الذي يتفجر فجأة، ويسفر عن ذاته في شكل فاجعة لا يمكن محوها بسهولة.

«نِعَم الخبَّاز" وحدها كانت تعتقد أن إطلاق الرصاص يحدث للآخرين، يحدث لـ "يولاندا" و«أوسكار" و«سوزانا"، ولا يمكن بالطبع أن يصل إلى بيتها، لكنه وصل.

ذات مساءٍ خريفيٍّ انفجر الرصاص المكتوم، ورأت كيف تحول جسد بِكْرِها "جمال" إلى بركة دم، بعد ذلك حدث ما يتكرر حدوثه، كتب رجل الشرطة تقريرًا مختصرًا للواقعة: (إطلاق رصاص من الفم عبر الجمجمة، استقرت الرَّصاصة في الحائط، الضحية يرتدي شورت رياضيًّا أسود، عاري الصدر، تفوح من فمه آثار "الماريوانا"، ويحمل في يده جهاز تليفون نوكيا أحمر اللون، وجارٍ إكمال البحث عن أسباب ودوافع الانتحار.).

أثناء تشريح الجثة توافَد أصدقاء "أحمد الوكيل" الذين يديرون "المغسلة الإسلامية للدفن الشرعي"، وتحدث الإمام "أبو عبد القادر" عن الميت والغُسْل وصلاة الجنازة وإجراءات الدفن وموقع المقبرة، توافدت أيضًا صديقات "نِعَم الخبَّاز"، مثل "فاطيما" و«سوزانا" و«كريستال" مُتَّشحات بالملابس السوداء والبيضاء، وتحدثن إليها عن الصبر، وعلَت أصوات القرآن المرتَّل، وأصوات التوسُّل للرب بإنزال السَّكِّينة، وتناثرت المُصلَّيات الملونة، وفاح البيت بروائح البَخُور والبهارات الشرقية، وبعض الأزهار التي وُضعت على الأرض في موضع الجسد الذي بات في المقبرة القريبة، تلك التي يطلقون عليها "حديقة الأرواح".

في الليل ذهب الجميع وأغلقت "نِعم الخبَّاز" باب بيتها، لكن رائحة الموت ظلت شهورًا تحاصرها ولم تُفلح المنظفات العميقة في إزالتها، حتى بعد أن تكفل الجيران باستبدال سجَّاد أخضر بلون الصبَّار ببساط البيت القديم، أملًا في أن يبدد ذلك التغير بعض الروائح العالقة بالذاكرة، لكن ذلك اللون المحايد للسجَّاد زاد من كآبة المنظر، وظل الدم المسكوب في ساحة البيت، والرصاصة التي ارتشقت في الحائط جاثمَيْن على المشهد، ومع الوقت انشغلت "نعم الخباز"

بأوجاعها، وانشغلت "الشمس المشرقة" بعدة كوارث أخرى، مثل غرق "ميمي دونج"، وفقدان "لوسي" قطة "إيمي"، وهروب "عمر" ابن "نعم الخباز"، وجروح "سليم النجار" ومحاولة انتشال أطفال المرْكَبة المنكوبة "عين الحياة".

×××

تنام "الشمس المشرقة" تحت أقدام سلاسل الجبال القرمزية على الساحل الغربي لتلك البلاد، منحنيةً بتواضعٍ بين مفارق الطرق التي تؤدي إلى المنتجعات الجبلية في الشمال، ستبدو صورها من الفضاء مجرد تجويف أرضي منخفض وسط حلقة من التضاريس الصخرية والهضاب الصحراوية، تتماسُّ حدودها الجنوبية مع صحراء قاحلة كانت ولا تزال مَعبرًا حدوديًّا تاريخيًّا للمتسللين، وتطل من الشرق على سلسلة أخرى من التشكيلات الصخرية البازلتية، التي تتدرج ألوانها الرمادية وتتراقص ظلالها كرؤوس شبحية فوق التلال، أما من جهة الغرب فقد احتلَّ الساحلَ جرفٌ صخريٌّ ضخمٌ تحول إلى مقصدٍ لهواة التسلق، وتسبَّب هذا الجرف في تعثر اتصال "الشمس المشرقة" بالمحيط، وانحصر كل ما يربطها بالساحل الغربي بذلك الأخدود أو التجويف المائي، الذي توسع وشق طريقه بمحاذاة الجرف الصخري فصاروا يطلقون عليه مجازًا لقب "الخليج".

ونتيجةً لتلك التضاريس الجغرافية الفريدة فقد اعتادت بيوت "الشمس المشرقة" أن تتنفس كل يوم غبار التلال التي تطوقها وتتصالح مع أبخرة ذلك الخليج الضحل، الذي تفوح منه رائحة ذكور كلاب البحر النافقة بعد معارك ضارية في مواسم التزاوج، ثم رائحة مخاض الإناث اللواتي يضعن صغارهن في جيوب الماء الدافئ.

تهبُّ عليها رياح الصيف فتحمل تراب الجبل وتصفع به النوافذ والواجهات الزجاجية، ثم يسقط المطر فتسيل الأصباغ المتسخة كدموع كابية حارقة تترك آثارها كأخاديد تنحت مساراتها في طبقات الطلاء المتشقق، تُعرِّي الأمطار الموسمية خشب تلك البيوت الفقيرة، وتفتح شهية النمل الأبيض والعقارب الحمراء فتخرج راقصةً من بين شقوق الأرض، وتتسلق أخشاب وقراميد الأسقف، وتشق طريقها زاحفةً من الجحور إلى أصص الأزهار المعلقة في الشرفات.

«الشمس المشرقة" مجرد مستعمرة صغيرة، أو أنقاض مدينة حدودية شبه ساحلية مهجورة، يقولون إنها كانت في السابق بيوتًا خشبية قميئة يسكن فيها عمال مناجم النحاس التي نضبت، ثم رحل العمال من زمن بعيد تاركين خلفهم بعض الوحدات السكنية الفقيرة، أو سلسلة من الأكواخ الصغيرة التي تتراقص في الفضاء الجبلي منفصلةً ومتقاربةً وكاشفةً لبعضها البعض، ثم توسعت المستعمرة البشرية مع الوقت وضمت إليها غيرها من الأحياء والامتدادات السكنية، التي تجاورت بين الهضاب الصحراوية وتحولت إلى محطة لعبور العمال المتسللين إلى المزارع الجبلية في الشمال.

من تلك المستعمرة تخرج حافلات عمال النظافة وتعمير الحدائق كل صباح، تتسلق ممرات الجبل وتسير باتجاه التلال البعيدة حيث تنام منتجعات "الجنة الأبديَّة" عالية بين القمَم الجبلية، يحمل العمال في طريقهم إليها أدوات تهذيب الأشجار، وماكينات قص الحشائش، وتقليم النخيل، وتزيين الحدائق، تخرج أيضًا إليها تلك الحافلات الصغيرة التي تحمل لافتات شركات النظافة "كلين هوم"، "سوزانا كلين"، "ماتيلدا وأخواتها لتنظيف البيوت".

تمر الحافلات في مسارات محددة وطرق ومنعطفات منحوتة بين ممرات الجبال، تتسلق الممرات الجبلية الضيقة لتصل في النهاية إلى "الجنة الأبديَّة"، حيث تتراقص المنتجعات الجبلية البعيدة، وتتكشَّف ممرات القصور العالية، المترفة، والتي يحتاج أصحابها إلى خدمات عاملات النظافة والأيدي العاملة باستمرار.

***

المنافذ الحدودية الجنوبية التي قذفت بنِعَم الخباز وبغيرها من سكان تلك الأرض لم تعُد الآن آمنة أو صالحة لمحاولات التسلل، بعد أن تكفلت قوات حرس الحدود بتأمين تلك المساحات الصحراوية الشاسعة التي نفقت فيها الكثير من الجثث الآدمية عطشًا، وانتهت رحلتهم قبل أن تبدأ،

الحدود الساحلية أيضًا تم تأمينها بعد إغلاق مداخل الخليج بخوازيق ومدقَّات من الحديد على مسافات شاسعة من اليابسة، لكن تلك الإجراءات لم توقف تمامًا محاولات التسلل عبر حاملات البضائع، أو سيرًا على الأقدام لمسافات

شاسعة عبر الصحراء الممتدة وصولًا إلى أرض "الشمس المشرقة". صارت "الشمس المشرقة" بمرور الوقت وحسب موقعها الجغرافي هي المحطة الأولى للعبور، يتخفَّى في أزقتها الهاربون عدة أيام ثم يواصلون البحث عن طريقٍ آمنٍ بين ممرات الجبال للهرب شمالًا، باتجاه مزارع الكروم البعيدة، أو تلك المناطق التي لا يسألهم فيها أحد من أين جاءوا؟، إذا استطاعوا بالطبع تفادي عربات ترحيل العمالة غير الشرعية، أو تلك الدوريات الأمنية التي تنقضُّ على الطرق الجبلية من حين إلى آخر، وتنجح في مطاردة بعضهم وإجبارهم على العودة عبر الحدود نفسها التي تسللوا منها، بينما يفلح آخرون في الاختفاء حالمين بأن يرافقهم الحظ الطيب ويتم نسيانهم إلى حين.

لم تكن "نِعَم الخباز" من تلك الفئة على أية حال، فقد استطاعت أن تحصل على إقامة شرعية دائمة، وعاشت بما يكفي لتنسى كيف جاءت إلى تلك الأرض، لكن حسب روايتها التي كانت أيضًا غير دقيقة وربما مُتخيَّلة فقد قالت إن الله قد عوضها عن طفولتها الشقية خيرًا فحدف بها إلى تلك البلاد مصادفة فقد جاءت كراعية للعجائز، وعملت في بيوت العَجزَة في المنتجعات الشمالية لسنوات لم تعُد تذكرها، لكنها تؤكد أنه تم استقدامها بطريقة شرعية تمامًا، وخالية من الشبهات؛ لذا فقد كان الكثيرون يعتبرونها محظوظة حتى تلك اللحظة المشئومة التي فقدت فيها بِكْرها، لكن فَقْده لم يكن أول أو آخر تلك الكوارث التي مرت بها في حياتها.

***

في الرابعة من عمرها انكفأت "نِعَم" على راكية النار وترك ذلك ندوبًا عميقة في الشق الأيمن من وجهها الأسمر البالي، وزادت الخدوش من لمعان عينيها الصغيرتين اللتين تشبهان عيون الثعالب الغاضبة.

لم تخبئ "نعم" تلك الندوب التي توارت قليلًا بفعل التجاعيد وغبار الزمن، بل كانت تستخدمها وفقًا لما تقتضيه الحاجة كوثيقة على ما تعرضت له في طفولتها من كوارث تستوجب الشفقة.

حسب روايتها أيضًا، حدث ذلك في يوم شتائي أوْحلَت فيه الشوارع في الحارات

الضيقة وتجمدت أطراف الصبية الذين يركضون طوال يومهم في أزقَّة تلك القرى الصغيرة التي كانت تنام غرب الدلتا، قامت زوجة أبيها الأولى التي يلقبونها بـ "الرَّيِّسة" بإشعال النيران وتوسطت المجلس الذي تَعبَّأ بدخان أرجيلتها.

«الرَّيِّسة" هي السيدة الأولى والمالكة الأصلية للبيت والمخبز ولها وحدها حرية التصرف في شئون هذه الحياة، يتوسط المجلس أيضًا "جعفر الخباز" الذي يتضاءل وجوده في الحضور الجسدي للريسة، ذلك الحضور الذي يملأ الفراغ بصبغة خُنْثويَّة خالصة؛ فقد أضفت شراهتها في التدخين هذا الإيحاء الخشن للأنوثة، فهي تقوم مثلًا كل عدة ساعات بإشعال النار في حُزْمة من الخشب المتفحم في وعاء فَخَّاري، بغرض التدفئة ولتتمكن أيضًا من رصِّ وتعبئة رؤوس الدخان ولا تنقطع في جلستها من حرق قطَع الفحم وسحب أنفاس الأرجيلة والبصق في كل اتجاه، حتى يتعبَّأ صدرها بالتبغ ويفيض بالبلغم والبصاق، في المساء يضطجع "جعفر الخباز" بجوار "الريسة" متعبًا، ومستمتعًا بمشاركتها في سحب الدخان الذي يغلف حياتهما بتلك القسوة، تمدُّ "الريسة" وَركِها الضخمة فيضع رأسه ثم تناوله الأرجيلة، فيلتقم خرطومها ويصبح الدخان العسلي الكثيف سُحُبًا متراكمة فوق فُتات الأطباق الفارغة ونُفايات الأبناء الذين يتقافزون حول مشهد انتهاء النهار.

في ليلةٍ من تلك الليالي سقطت "نعم" على الموقد والجمرات المشتعلة، كان "جعفر الخباز" مُقعيًا ككلب على حجر "الريسة" كعادته بينما كانت "أُمُّ نعم" تدلك قدميه، وانشغلت الزوجة الثالثة في تحضير الشاي على موقد الكاز الصغير على طرف المجلس، تلك الليلة كانت النار أكثر توردًا وشراسة توسطت بلهيبها الجلسة، وكان المطر يطرق النوافذ فالتَمَّ الصغار حول طاقة الدفء وتبادلوا بعض الحكايات والشتائم والألعاب الغامضة، ثم الضحكات ثم أطفأ نحيب "نعم الخباز" وتشوُّهات وجهها المحترق مشهد الانسجام العائلي الذي قلَّما يتكرر في بيت الخباز.

«جعفر الخباز" كان طويلًا ونحيلًا وله عَيْنَا ثعلبٍ جبلي، عينان مترقبتان، مفعمتان ببريق التنمُّر وحكمة التروِّي، عينان تكشفان قدرات متعددة على القسوة والغدر، ورثت "نعم" عنه تلك العينيْن، لكنها لم ترث منه ملامحه الناعمة التي لا تتلاءم مع أصوله العرقية التي لا يعرفها أحد؛ بخاصة شعره

الأشقر الكثيف الذي ينسدل من تحت العمامة، وملامحه القوقازية، وبياضه الرائق، تلك الملامح التي لا تخدش وسامتها سوى دقة الوشم التي تجاور بروز الحاجب الأيمن.

يجلس "جعفر الخبَّاز" في ذاكرة "نعم" متكئًا على الوسائد بجلبابه الكشميري ويمدُّ ساقيه وسط قبيلة من الأبناء، يجلس مبتسمًا متوردًا، راضيًا عن نسائه الثلاث اللاتي أنجبن له عددًا من الذكور زَجَّ بهم مبكرًا إلى مخبزه؛ ليتقاسموا مسئولية أعمال المخبز، مثل حمل وتفريغ أجولة الدقيق ثم العجن والتقطيع والخَبْز وإشعال الوقود في الأفران.

كان العمل داخل المخبز يسير وفقًا لما حددته "الريِّسة" من مهام يتقاسمها الجميع من دون تفريق أو محاباة بين أبناء الضرائر، بينما يكتفي "جعفر" منذ أن تزوجها بالجلوس جوارها نهارًا على تلك المَصْطَبة الطينية التي تجاور مدخل الفرن، تكون "الريسة" دائمًا منشغلة بعدِّ الأرغفة ومتابعة حركة البيع وعدّ النقود التي تنتهي إلى حافظة من القماش تتدلى برباط من صدريتها التي تظهر بجلاء من تحت قَبَّة ثوبها المرقش بالورد، تفتح صدرها وتنحني فيرتخي صدرها المنفرط بضخامة غير عابئةٍ بنظرات العابرين.

***

ميرال الطحاوي
أيام الشمس المشرقة
دار العين، القاهرة، 2022
4 طريق بهلر، قصر النيل، القاهرة
الترقيم الدولي: 9789774906473
elainpublishing@gmail.com

الأفق الأعلى، فاطمة عبد الحميد

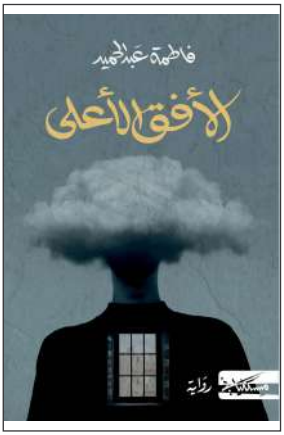

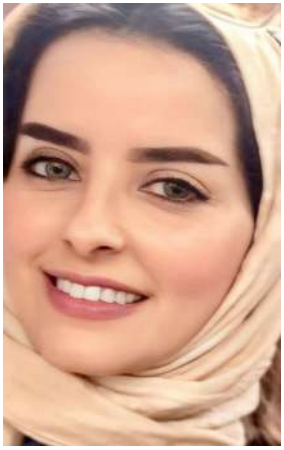

ملخص الرواية:

كُتبت "**الأفق الأعلى**" بسخرية سوداوية، يرويها الملاك عزرائيل، ملاك الموت، الذي يخاطب القارئ مباشرة ويخبره عن الأشخاص الذي يلتقي بهم وعن ردود أفعالهم عند اللحظة الحاسمة. ومن خلاله، نتعرف على سليمان، أرمل في الخمسينيات من عمره، كانت قد زوّجته أمه بفتاة تكبره بإحدى عشرة سنة، وهو لا يزال مراهقاً في الثالثة عشرة من عمره. وكان يعيش طوال عمره في ظل حماية نساء مختلفات، ولا يستطيع الاعتناء بنفسه أو القيام بأبسط الأشياء، وبذلك يمثّل صورة معاكسة للصورة النمطية للرجل العربي القوي. يبقى سليمان وحيداً في شقته إلى أن يلمح من شرفتها طيف جارته، التي ستصبح شريكة له في مغامرة حب لم تكن في الحسبان. وكأن الرواية تقول إن التخطيط والتنبؤ بالمستقبل أمران مستحيلان، فقد تخدعك الحياة ويعبث بك الموت؛ ومهما فعلت، لا تستطيع الإفلات من عشوائية الأقدار.

فاطمة عبد الحميد كاتبة سعودية من مواليد جدّة، السعودية، عام 1982. حصلت على باكالوريوس في علم النفس وعملت في التعليم. تعمل حالياً معالجة نفسية. صدرت لها مجموعة قصصية بعنوان "كطائرة ورقية" (2010)، وثلاث روايات، هي "حافة الفضّة" (2013)، "النسوة" (2016)، و"الأفق الأعلى" (2022).

مقطع من رواية
"الأفق الأعلى

أنا في طريقِي إليكَ

ها أنا وراءَكَ تمامًا... أحدّقُ الآن إلى الجزءِ الخلفيِّ مِنْ رأسِكَ وأنتَ تقرأُ هذه الكلماتِ، فتَحَلَّ بالصّبرِ، ولا تلتفِتْ قبْلَ أن أُنهِيَ ما جئتُ لِقَوْلِه! فهذِهِ ليسَتْ قصَّةً مُختلقةً، وإنْ كنتُ أُحَدّثكَ مُباشَرةً بصَوتِكَ أنتَ، فلأنّ صَوتي لنْ يكونَ مُستَساغًا. ستتأكّدُ مِنْ هذا حينَ نلتقِي وَجْهًا لِوَجْهٍ، فنحنُ سَنلتقِي لا مَحالةَ، مَهْما أَهْدَرْتَ مِنْ وقتٍ بعيدًا عنّي... لا تنظُرْ إلى ساعتِكَ، وكأنّ أمْرَ الوقْتِ يهُمُّكَ إلى هذا الحدِّ، فأنتَ تعيشُ مُعظَمَه حسب العادة... ولم تكُنْ في يومٍ تتحاشَى الخطأَ مِنْ أجْلِ الصَّوابِ، لأنّ الخطأ ببساطةٍ لا يستغرق وقتًا طويلًا كالصّواب، فلا تأْسَ على نفسِكَ الفانِيةِ، إنْ أدْركتْكَ قبْلَ أنْ تُدركه... وهوّنْ عَليْكَ، فالأمْرُ معي أقلُّ تعْقِيدًا، إذ لا أحدَ في السّماءِ يملِكُ دافِعًا لتدْمِيرِكَ، لكنّ الفِطْرَةَ الأرضِيَّةَ هي الّتي رسّختْ فيكَ الظنّ بأنَّ كُلَّ ربحٍ لأحدِهم، هو خسارةٌ لِآخَر.

لا تخفْ... إنّ الوجودَ هناكَ يختلفُ عنِ الوُجودِ هنا. فهناك لا ينمُو الكائنُ عمُوديًّا كحالِكم هنا، بل ينمُو في ذاتِهِ، ولذاتِهِ، بعيدًا عنِ الآخرين. وهُناكَ، تمتدُّ سلالمُ لا نهائيّةُ الطّولِ، مِنَ الأسْفلِ إلى الأعلى... مِنَ الجحيمِ إلى النّعيم، ولكلّ فردٍ سُلَّمُه. قد يبدأُ أحدُهم الصُعودَ مِنْ أسفلِ السّلّم، بينما يبدأُ غيْرُهُ مِنَ المنتصفِ، ويبدأُ ثالثٌ مِنَ الأعلى، وقد تنزلقُ قدمُ أحدِهم كلّما ارتفعَ درجةً أو درجَتيْنِ، ليظلَّ قريبًا مِنَ القاعِ، ويرتقِي بعضُهم الدّرجاتِ سريعًا في صُعودٍ لا نهايةَ لهُ، وهكذا لا أحدَ يشبهُ أَحدًا، ولا أحدَ يلتفتُ إلى أَحَدٍ. ووظِيفَتي الأزليّةُ، تتمثّلُ في نقلِكم مِنْ هُنا إلى هُناك.

نعم! أنا أسوأُ مخاوفِكَ، وأنا كاتمُ سِرَّ زيارتِي المباغتةِ لكَ، وهذا ما لنْ يحبَّهُ كلُّ مَنْ يهتمُّ بأمْرِك. ولتعلَمْ فحَسْب، أنّه لا فرقَ بيْنَ أن تُولِّيَ وجهَكَ شطْرَ الحائطِ لحظةَ وصُولي أو أن تُولِّيَ له ظهْرَكَ، ففي كلتا الحالتينِ لنْ تستطيعَ منِّي إفْلاتًا. لأنّني سأكونُ حِينَها أضْخَمَ نفُوذٍ يسْتَولي عَليْكَ.

ألمْ تقولوا إنّ دفقَ الماءِ، حين يُفْتَحُ الصّنبورُ، يستحيلُ أن يتراجعَ إلى الوراءِ؟ ها أنا وراءَكَ تمامًا، فتَحَلَّ بالصّبرِ، ولا تلتفِتْ!

حسنًا، كلُّ الأفكارِ المتَداوَلةِ على الأرضِ عن اللّحظة الّتي بدأتُ أزاولُ فيها هذِهِ الوظيفةَ الأبديّةَ غيرُ دقيقةٍ، ثمّ إنّ أمْرَ البدايةِ لا يعْنيكَ، وكُلُّ ما عليكَ أنْ تُدركه هو أنّني اللّمْسَةُ الأخِيرةُ، اللّمسة التي تمرّ على ألمِكَ المزمنِ، بعْدَ صِراعٍ طويلٍ مع المرضِ، فتَجْعَلك تسأل نفسَكَ: أين ذهبَ فجأةً كلُّ ذاك الوجع؟ إنّني مصْدرُ غَريزةِ الخوفِ بداخِلِك مُذْ كنتَ جنينًا، وأؤكّدُ لكَ أنّ تناسي وجُودي حلٌّ لنْ يُنقِذَك. فعلى نحوٍ لا يُدركهُ مخلوقٌ، تحدّدتْ كلُّ المناصبِ العليا في سريرةِ الخالقِ، ولسوءِ الطّالعِ، كانت وظيفتي أن أتفرّغَ للقَبْض عليك. لم أكُنْ سليلَ أُسْرةٍ من نورٍ خالصٍ كبقيّةِ الملائكةِ، ولم أُخلقْ من نارٍ أُسوةً بالشّياطين... وإنّما خُلقتُ من نورٍ ونارٍ، لذلك أُوكلتْ إليّ هذه المهَمّةُ المهيبَةُ، مَهمّةُ تخفيفِ الأرضِ منْ ثِقلِ مخلوقاتِها. ومِنْ ثمّ، أستحقُّ، مِنْ بابِ الإنصافِ، ألّا تُضيِّقُوا عليَّ بكلِّ هذا الأسى الدّنيويِّ، فأنا أخلّصُكم مِنْ طُغاةٍ كثيرينَ، ومِنْ بعْضِ الأثرياءِ أصْحابِ الطّائراتِ الخاصّةِ المملّينَ، وأخلّصُ بعضَكم مِنْ حياةٍ عليلةٍ مُزمِنَةٍ تُرهِقُهُ، وتُرهِقُ مَنْ حوْلَه.

وعلى أيِّ حالٍ، مهما يَكُنْ ما أخبرتُكم بهِ سيّئًا، فإنّه ليس أسْوأَ ممّا تظنّونهُ بِي منذُ الأزل. هذا هُو قدَري وقَدرُكم، ولا أحَدَ يستطيعُ اقتِطاعِي مِنْ سِياقِ حِكايتِهِ، حتّى في حالةِ سليمان عليّ الرّيس، الّذي سكنَ العمارةَ السّابعةَ والثّلاثين، فوقَ بقالةِ المسرّاتِ في «حيّ بَدّار»، على بُعدِ بنايتيْنِ من حِراجِ السّيّارات... وعلى الرّغمِ من كلِّ ما أحيطُ به عِلْمًا، لا يُخجلني البتّة الاعتراف بأنّني وجدتُ الأمرَ هُناك مختلفًا. فما إنِ اقتربتُ منهُ، ودخلتُ الحكايةَ منَ البابِ الخلفِيِّ، حتّى دارتِ الأرضُ دورةً جدِيدةً جَعَلَتْني في حاجةٍ إلى بعضِ الوقتِ لأُصَحِّحَ ذاكَ المسار.

×××

تقولُ العبرةُ: «عندما تهمّ بالتقاطِ حجرٍ من الأرضِ، فعليكَ أن تستعدّ لما ستجده تحتَهُ، وإذا لم تكن مستعدًّا لذلك، فلا تفكّر في التقاطه منذُ البَدْء». وعلى الرّغمِ مِنْ أنّ هذِهِ القاعدةَ الأرضيّةَ مألوفةٌ لدى الكثيرينَ، فإنّها تبقَى مُغيَّبةً عَنْ بعضِهم. وكذلكَ كانَ حالُ أمِّ سليمانَ، السيّدة حمدة، حينَ التقطتِ الحجَرَ المعنيَّ، وزوّجتْ ابنَها الوحيدَ واليتيمَ في سِنِّ الثّالثةَ عشْرةَ مِنْ فتاةٍ تكبُره بأحدَ عشر عامًا، وفي ظَنِّها أنّها جاهزةٌ لما ستجدُهُ تحتَ ذاكَ الحجرِ، إلّا أنّها نالتْ من سُخريةِ الأقاربِ والجيرانِ قِسْمَتَها، وتحديدًا مِنْ آباءِ الفتياتِ الصّغيراتِ الّذين امتنعُوا عنْ مُصاهرتِها، بنظرةٍ متعاليةٍ، جعلتْها تعلمُ عِلْمَ

اليقين، أنّ صِغَرَ الفتياتِ ما كان ليُشَكِّلَ سببًا يمنعُهم مِنْ تزويجِهنَّ، لو أنّ لابنِها الوحيدِ جاهًا أو مالًا يُسانِدانِه. لقد أرادتِ المحافظةَ على السُّلالةِ، بتسْريعِ عَجَلةِ الزّمنِ، لكنّها، بعْدَ خمسةِ أشهرٍ فقط مِنْ تزويجِ ابنِها بابنةِ خالِها نبيلة، أُحْبِطتْ تمامًا، وخارتْ قُواها مِنْ تكرارِ مُحاولاتِها اليائِسَةِ كلَّ مساءٍ، لإعادَةِ العريسِ الهاربِ مِنْ عَروسِهِ كيْ يلعَبَ كُرةَ القدَمِ معَ رفاقِه... إذْ ظلّتْ تجرُّهُ جرًّا ممسِكةً بأذْنِهِ وكتِفِهِ، وهي تُوبّخهُ بصَوْتٍ يلتفِتُ إليهِ العابِرون. في البدْءِ، يتبعُهُما أصدِقاؤُه القِصَارُ القامَةِ، وهم في الغالبِ مِنْ رفاقِ صَفِّهِ، غيْرَ أنَّ الحشُودَ تظلُّ في تزايُدٍ كلّما اقتربَ مِنْ بيتِهِ، لتشْمَلَ طلبَةَ صُفُوفِ المدرسَةِ كلِّها، فضْلًا عَنْ إخوتِهم الّذِينَ لم يلتَحِقُوا بالمدْرسَةِ بعْدُ، صارخِينَ خلفَهُ بهُتافٍ واحِدٍ: «سليمانْ، سليمانْ... يحرِدْ مِنْ بيتِ العِرسانْ». وحالما يصِلان، تقذِفُ بهِ أمُّهُ فَوْرًا تُجاهَ غُرْفَةِ نوْمِهِ الّتي تتوسَّطُ البيتَ، وتفصِلُها عَنْ غُرفتِها غُرفةٌ ثانِيةٌ، أُعِدّتْ لاسْتِقبالِ الأحْفادِ، تَقذِفُهُ نَحْوَ الغُرفةِ وتَقذفُ في أُذنيْهِ الجملةَ المعهودةَ ذاتَها: «افْعَلْ ما يفْعَلُهُ الرِّجالُ... أفهِمْتني؟»، ولطالما كرّرَتْ على سَمْعِه تلك الجملةَ بوجهٍ كامِلِ الاسْتِدارةِ، وافِرِ التّجاعيدِ. قالتْها لهُ بأساليبَ كثيرةٍ، منها السّاخِطُ، ومنها الحاني، ومنها ما هو مخلوطٌ بخبثٍ نسائيٍّ مُحرِّضٍ، مختومٍ بغمزةٍ حاكاها سُليمان بغمزةٍ مماثلةٍ، دون أن يعِيَ السّببَ على وجْهِ الدِّقّة. ولا يشُكُّ أحدٌ في أنّها طرقَتْ كُلَّ الأبوابِ، حامِلةً معها تلكَ الجملةَ العصِيّةَ على فهْمِهِ: «افعلْ ما يفعلُهُ الرِّجالُ...». وفي أشَدِّ حالاتِ اليأسِ، كانتْ تقولُها وهي تربِّتُ على ظهْرِهِ، وتئنُّ ببكاءٍ محبوسٍ في صدْرِها، متأرْجِحَةً في مكانِها، بينما يجلسُ سليمان على ارتفاعِ درجتينِ عنِ الأرضِ، طاويًا إحدى قَدَميْهِ قريبًا من صدره، أمّا قدمُه الأخرى فكان يُحرّكها وسط التُّراب، وينتقي حصاةً يضعُها بين إصْبَعين، ثمّ يقذِفُ بها بعيدًا، كما تفعلُ أمُّهُ بحبّاتِ الأرُزِّ السّوداءِ قبْلَ طبخِهِ. ولمّا يصرُخُ غاضِبًا، وهو يمدُّ قدمَهُ إلى جوارِ قرينتِها، لتُثيرا معًا سحابةَ غبارٍ مفاجئةً، تُغمضُ أمُّهُ عينيْها، وتسْمَعُهُ يقولُ كمنْ توصّلَ إلى الحلِّ السِّحريِّ: «سأفعلُ ما يفعلُهُ الرِّجالُ، إذا سمَحْتِ لي بأنْ ألعبَ الكُرَة!!».

ولئنْ كانَ هُناكَ القليلُ مِنَ المعجبينَ بجسارةِ السّيّدة حمدة في تأسيسِ عائِلتِها، فإنّ عددَ النّاقدِينَ لها كانَ أكثَر. إذ تضَخّمتْ أذنا سليمان من شدّة المسك والجذب، وصارتا بعِيدَتيْنِ عَنْ رأسِهِ بشَكلٍ ملحُوظٍ... صارتا أذُنيْنِ وطواطيّتيْنِ كما يشخِّصُ الأطبّاءُ هذه الظّاهرة، ولعلّ ذلكَ ما دفعَ الأُمَّ إلى

التّوقّفِ عنْ إعادتِهِ إلى البيتِ مسحُوبًا مِنْ إحداهما، والاكتفاءِ بجرِّهِ منْ عُنُقِه. حِينَها بدأَ سُليمان يُعاني فُواقًا شَدِيدًا، حتّى وهو نائمٌ، ولم تكفَّ عروسُهُ عنْ سماعِ تلكَ الرّكلاتِ الّتي تكادُ تقْفِزُ مِنْ صدْرِه.
وقدِ اسْتَغْرقَ الأمْرُ مِنْ نبيلة عامًا وثلاثةَ أشهرٍ، لتُفهِّمَهُ بشكلٍ كاملٍ، ما يفعلُهُ الرِّجالُ مع زوجاتِهم في خَلواتِهم.

***

ورثَ سُليمان عَنْ أمِّهِ جهْلَها بخُطُورةِ ما يختبِئُ تحتَ الأحْجارِ. لذا اسْتيقَظَ مذْعُورًا، في ذلك اليوم، والسّاعَةُ تُقارِبُ الثّالثةَ فجْرًا، وعلاماتُ الوسادةِ مَطبُوعَةٌ على خدِّه. نهَضَ مِنْ سَريرِهِ يُعاني فُواقًا سيُعالِجهُ بشُربِ الماءِ، وجذَبَ أغْطِيَةَ الفِراشِ، ثمّ رمَى بها أرضًا، وخرجَ مِنْ غرفتِهِ على رؤُوسِ أصابِعِهِ، مُحاولًا أن يتحاشَى الأرضِيّةَ البارِدَةَ، إذْ لا يعرفُ أين أخفَى حفيداهُ خُفّهُ المنزليَّ، وجاهلًا بالوجهةِ الّتي سيمضي إليها بعيدًا عنِ الأرقِ، وبعيدًا عنِ السّريرِ. فباستثناءِ الأيّامِ التّسعةِ الماضيةِ، الّتي مرَّ الوقتُ في أثنائِها ثقيلًا كأنّهُ يعبُر حاجزًا مِنْ إسمنتٍ، لم تبتعدِ السّيّدة نبيلة مُدّةً كهذه عَنْ بيتِها، طَوالَ ثمانِيةٍ وثلاثينَ عامًا. ومِنْ ثمَّ، وجَدَ نفسَهُ عالِقًا في المطبَخِ، لا يعْرِفُ مِنْ أينَ يبدأُ ليلَهُ. وعلى الرّغمِ مِنْ أنّ وسائِلَ تخفِيفِ الأرقِ مرّتْ أمامَ ناظِريْهِ في شَكْلِ رسائِلَ قرأَها على شاشَةِ هاتفِهِ مُنْذُ سَنواتٍ، فإنّه لا يتذكّرُ مِنْها الآنَ شيئًا. لذلكَ قالَ لنفسِهِ مُواسِيًا، وقد وقفَ مُولّيًا وجهَهُ شطْرَ الدّولابِ، تحتَ مِصْباحٍ دائِريٍّ يتدلّى مِنْ سقْفِ مطبخِهِ، فينعَكِسُ ضَوؤُهُ فوقَ طاولةِ المطبخِ على شَكلِ طبقٍ مِنْ ظلالٍ: «إنّ طُرقَ تخفِيفِ الأرَقِ كطُرقِ الثَّراءِ السَّريعِ، لا يمكنُ أنْ تنجَحَ إلّا في حالاتٍ نادِرَة».
أوّلُ ما يلفِتُكَ في رأسِ سليمانَ هو أذناه، أذنان تبدُوانِ لخفّاشٍ، لا لكائِنٍ بشَرِيٍّ، ومَنْ لدَيْهِ مِثلهما فسَيُعاقَبُ، حَتْمًا، بسَماعِ أخْفَضِ الأصْواتِ وأبْعَدِها. ثمَّ تشُدُّكَ فيهِ بَشَرةٌ صَلصالِيَّةُ اللّوْنِ، ورجفَةٌ طفِيفَةٌ على خدِّهِ الأيسَرِ، وكفٌّ ظاهِرُها مُغطًّى بشَعْرٍ كثيفٍ يتخلّلُهُ بعضُ البياضِ، أشعلَ بها الموقدَ، وهو يتَظاهرُ أمامَ نفْسِهِ بأنّهُ يعْرفُ ما يفْعَل. لكنّ الحقيقةَ هيَ أنَّ طريقتَهُ في تفْتِيشِ العُلبِ الصّغِيرةِ المتشابِهةِ في اللّوْنِ والحجْمِ بحثًا عنِ البُنِّ، لا يمكنُ أنْ توصفَ بالماهِرة، إذ يبْدُو أنّهُ كرّرَ فتْحَ بعْضِ العُلَبِ أكثرَ مِنْ مرّةٍ دونَ أنْ يلحَظَ ذلكَ،

بالإضافةِ إلى أنّ الماءَ المغليَّ فاضَ فوْقَ الموقدِ، ما أثارَ غضَبَهُ وفزَعَهُ مَعًا. في إثْرِ ذلكَ، توجَّهَ إلى شُرفَةِ المطبخِ الّتي تُطِلُّ على زقاقٍ يفصِلُهُ عن العِمارةِ المقابِلةِ، وسَحبَ البابَ الزّجاجِيَّ، ثمّ خرجَ إلى الشُّرفَةِ، حيثُ يمتدُّ اللّيلُ ببُطءٍ كدُخانٍ كثيفٍ أسْوَد. نظرَ إلى الأسْفلِ قليلًا... لكِنَّ الأمْرَ غيرُ مُهِمٍّ على الإطلاقِ، فتِلكَ مُجرّدُ عادَةٍ بشَريّةٍ، تلي فتْحَ أبوابِ الشُّرفاتِ والنَّوافِذِ. حينَ عادَ إلى المطْبخِ، لم تكنْ رائِحةُ الغازِ قدْ تسرّبتْ بشَكلٍ حادٍّ، ومعَ ذلكَ لامَ نفْسَهُ على الابتِعادِ عنِ الرَّكْوَةِ، كما فاجأهُ صَوْتُ أمِّهِ الّذي حضَرَ ليُرصُدَ أخطاءَهُ، ويَنْتقِدَها كعادتِها، فسَمِعَها وهي تعاتبُهُ: «إنّ مراقبةَ البَيْضِ وهو يتقلّبُ في الماءِ المغليِّ لا تُعجِّلُ اسْتواءَه... عليكَ أنْ تفعلَ ما هو أفضلُ، وتبتعِدَ عنْهُ قليلًا». همَّشَ أذْنَهُ بشَكلٍ أقلّ تأدُّبًا، لا يليقُ بحضْرةِ أصْوات الأمواتِ، ثمّ مسَحَ شيئًا رطبًا شعُرَ بهِ على قفاه، وعادَ إلى البحْثِ عنِ البنِّ بيْنَ العُلبِ المتشابِهة. في تلك اللّحظةِ، عبرتْ أُذنَيْهِ أغنيةٌ وصَلتْهُ مِنَ النّافِذةِ المقابِلةِ لشُرفَةِ مَطْبخِهِ، على بُعدِ ثلاثةِ أمْتارٍ أو أقلّ. وتناهى إلى سمعِهِ صوتٌ شامِيٌّ مَرِحٌ يُغنّي برِفْقةِ فِرْقةٍ كامِلةٍ مِنَ البهْجَةِ: «قدّيشْ حلوة هالشّيبة/ بتنقَّطْ حُسْنْ وهِيبة/ولو كنّا بالعمرْ كبارْ/عنّا قلوبْ أولادْ صغارْ/ من قال الهوى عِيبة». جاءتِ الكلماتُ في صِيغَةِ الجمْعِ، فشعُرَ سليمان بأنّهُ معنيٌّ أيضًا بهذه الأغنية، وطفِقَ ذُو الأذُنيْنِ الكبيرتَيْنِ يبْتَسِمُ، وهو يوشِكُ أنْ يُسْنِدَ الجوْقَةَ بصَوتِهِ الخشِن. ثمّ أخذَ يرتِّبُ شعْرَهُ، ويُراقِبُ انعِكاسَهُ على الغِطاءِ الزُّجاجِيِّ للموقدِ، ويهزُّ رأسَهُ مع الإيقاعِ المبْهِج... حينها، تذكّرَ أين تضعُ زوجتُهُ عُلبَةَ البنِّ، فقد كانتْ تُبعِدُها في ركنٍ قصِيٍّ، حتّى لا يلتقِطَ البنُّ روائحَ البهارِ، كما زعمتْ في يومٍ مِنَ الأيّام. إنّ سِمةَ التّذكُّرِ عندَ البشَرِ مُثِيرةٌ للإعْجابِ، إذ حضرَ المكانُ في ذاكرتِهِ كامِلًا، مع حُجّةٍ لتعليلِ انزواءِ العُلبةِ بصَوْتِ السيّدة نبيلة، ذاك الصّوتِ المتباهي بمعرفةِ كلِّ شيءٍ كالعادَةِ، فهي الأكبرُ عمرًا، والأكثرُ خبرةً، كما كانتْ دائمًا منذُ ليلةِ زواجِهما. توجّهَ مُنْتَشِيًا إلى الجِهةِ الّتي تذكّرَها، وابتسمَ إذ تناهتْ إلى أنفِه رائحةُ السَّوادِ المختبئِ أسفلَ العلبةِ، فوجدَ أنّ الوقتَ قد حانَ للتّرحُّم على السيّدة نبيلة. قامَ بذلكَ، فعلًا، وهو عائدٌ إلى الجهةِ، الّتي تنطلقُ مِنْها الأغنية الظّريفةُ، وتحديدًا بعْدَ أنْ وضَعَ مِلعقَةَ بُنٍّ هَرميّةَ الشّكلِ في رَكْوَةِ القهْوَة. عندها، فاجأتهُ امرأةٌ تقفُ أمامَهُ مباشرةً، لا يفصِلُ بينهُما إلّا ذاكَ الزّقاقُ الضّيِّق. كانتْ تحمِلُ وعاءً تخفقُ فيهِ شيئًا مّا بتمَهُّلٍ شَديدٍ، وهيَ تنْظُرُ في اتّجاهِهِ. بينما شَكّلَ لوْنُ المانجو، الّذي طُلِيتْ بهِ جُدْرانُ مَطبَخِها، خَلفِيّةً جعَلتْ إضاءَتَهُ تبدُو في نظرِهِ

أكثرَ خفُوتًا مِنْ إضاءَةِ أيِّ مطبَخٍ رآهُ مِنْ قبْلُ، أو ربمّا خُيِّلَ إليهِ ذلكَ، لأنّ مُسْتوى صَوْتِ الأغنيةِ انخفضَ عمّا كانَ عليْهِ، فشُبِّهُ لهُ أنّ الضّوءَ قدْ خفَتَ أيْضًا. لا شكّ في أنّها أربعينيّةٌ، وإنْ بدَتْ في عَينيْهِ أصْغَرَ مِنْ ذلك. حالما رأتْهُ يُحدّقُ إليْها، انسَحبتْ بخِفّةِ ريشَةٍ، مُخلّفةً ظِلالَ حَركةِ يدِها واضِحَةً خلفَ سِتارةِ مَطبخِها البيْضَاءِ الشّفّافَة. ظلّتْ عيناه مُتعلِّقتَيْنِ بما خَلْفَ السِّتارةِ، وكأنّهُ ينْتَظِرُ أنْ تُخرِجَ لهُ أرنبًا مِنْ قبَّعةٍ سَوداءَ ليُصفِّقَ لها. فتمكّنَ مِنْ تحديدِ شَكْلِ قوامِها الممتلئِ، وسواعدِها البضَّةِ، وقامَتِها الأشْبَهِ بِقَصْر. بحثَ بشِدّةٍ عَنْ أيِّ شَيْءٍ قدْ يصْلُحُ نواةً لحدِيثٍ مّا، ثمّ حِينَ أخْفَقَ اعْتَذَر وهو لا يعلمُ عَنْ أيِّ شيءٍ اعْتذرَ، لكنّهُ وجَدَ الأمْرَ ضروريًّا مِنْ بابِ اللّباقةِ على الأقلّ:

– آسف... آسف.

قالها مرّتين، وهو يلتصِقُ بشُرفةِ مطبخِهِ، حتّى ليبدُوَ للرّائي البعِيدِ، أنّهُ يُحاولُ السُّقوطَ في ذلكَ الزُّقاقِ الضّيِّقِ الّذي يفْصِل بينهما. وكان على وشْكِ أنْ يقتنِعَ بأنّهُ ليْسَ لتلكَ المرأةِ الجامِدةِ في مكانِها مَشاعِرُ يمكنُ إيذاؤُها، لولا أنّ قهْوَتَهُ فاضَتْ مُتسَبِّبَةً في تَشْتيتِهِ، فالتفَتَ بارتِباكٍ نحْوَ الرّكْوَة. فكّرَ قليلًا في موقدِهِ الّذي أغْمَضَ عيْنَهُ مرّتينِ في أقلّ مِنْ سَاعَة. وتبادَرَ إلى ذِهْنِهِ أنّ السيّدة نبيلة كانت ستُشعِلُ البَيْتَ حَرْبًا، مِنْ جَرّاءِ هذا العبَثِ في مَطبَخِها، لو أنّها أبْصَرتْه. عادَ، في إثْرِ ذلكَ، إلى الشُّرفةِ ليُكمِلَ، على الأغلبِ، اعتذاراتِه بـ «آسف» ثالثةٍ، لكنّ ضَوْءَ المطبَخِ وأُغنيَتَهُ وسيِّدتَهُ المخْتبِئةَ، كانتْ قدْ أُطفِئتْ جميعًا، وغادرتْ كحُلْمٍ، بينما ظلّتِ النّافذةُ المغلقةُ الحقيقةَ الوحيدةَ الباقِيَة.

***

فاطمة عبد الحميد
الأفق الأعلى
مسكلياني للنشر والتوزيع، الشارقة، 2022
مركز الأعمال، مدينة الشارقة للنشر، الإمارات
anizos55555@yahoo.fr
الترقيم الدولي: 9789938740219

تغريبة القافر، زهران القاسمي

ملخص الرواية:

"**تغريبة القافر**" رواية مائية تُعيد للراوي وظيفته الأولى وهي ريّ الناس وإشباع ظمئهم. تدور أحداث الرواية في إحدى القرى العُمانية وتحكي قصة أحد مقتفي أثر الماء، تستعين به القرى في بحثها عن منابع المياه الجوفية. تكون حياة القافر منذ ولادته مرتبطة بالماء، فأمّه ماتت غرقاً، ووالده طُمر تحت قناة أحد الأفلاج حيث انهار عليه السقف، ينتهي سجيناً في قناة أحد الأفلاج ليبقى هناك يقاوم للبقاء حياً. تعمل الرواية من منطقة جديدة في السرد، هي ذاكرة الأفلاج، والأفلاج نظام فلاحي لريّ البساتين، مرتبط بالحياة القروية في عُمان ارتباطاً وثيقاً دارت حولها الحكايات والأساطير.

زهران القاسمي شاعر وروائي عُماني، من مواليد دماء والطائيين، سلطنة عُمان، عام 1974. صدر له أربع روايات: "جبل الشوع" (2013)، "القنّاص" (2014)، "جوع العسل" (2017) و"تغريبة القافر" (2021)، بالإضافة إلى عشرة دواوين شعرية و"سيرة الحجر 1" (قصص قصيرة، 2009) و"سيرة الحجر 2" (نصوص، 2011).

مقطع من رواية
"تغريبة القافر"

مقطع من الفصل الأول

«غريقة.. غريقة..».
ارتفع صوتُ الطّارش في بلدة المسفاة وهو يطرق الأبواب ويصيح بالنّاس:
«غريقة.. غريقة.. حدّ غرقان في طوي لخطم..».
سمعت النّساء صوت الطّارش، فتفقدّن أطفالهنّ في أرجاء البيوت والحيشان، وبدأت امرأة في وسط الحارة بالصّياح والعويل لأنّها لم تجد ابنها ذا العشر سنوات بالجوار، وشبّ نزاعٌ بين امرأتين في سكّة بين بيتين، لأنّ طفلَ إحداهما خرج منذ الصّباح الباكر مع طفل الأخرى ولم يعودا.
قامت عجوز معمّرة وحاولت اللّحاق بالطّارش مُتّكِئةً على هراوتها، وهبّ شابّ قصير من استلقائه وخرج يركض ولم يتوقّف إلّا عند البئر، وسُمِع زعيق وصياح في طرف القرية، نباح كلبٍ في الحارة الأخرى، صرقعة دجاجات في ضواحي النّخل، ونهيق حمير في عمق الوادي.
تسابق الشّباب ليعينوا الطّارش وينقلوا الخبر إلى البيوت البعيدة. الجبال تُردّد صدى صوت طبلٍ ضخم، الرّيح الغربيّة بصفيرها تهبّ ساخنةً لتلفح الوُجوه وتعصف بسيقان الشّجر، وأصوات كثيرة تتداخل لينقلب سكون الظّهيرة القرويّ إلى حالةٍ من الهياج.
ضاقت السّكك الهاجعة واكتظّت بأقدام أهل القرية وهم يتّجهون مُسرعين ناحية البئر.
الطّارش الّذي هزّ القرية كان حمدان بن عاشور القاطن في بيتٍ بجوار البئر، وذلك بعد أن طرق الشّايب حميد بو عيون بابه وقال له:
– صيح بالنّاس في البلاد، عندنا غريقة في الطوي.
في ذلك اليوم، تناول حمدان وجبة غدائه متأخّرًا عن عادته، لأنّه عاد مُتأخّرًا من القرية المجاورة، وكان قد ذهب إليها منذ الصّباح الباكر باحثًا عن بذور بطّيخ وصفها له أحدُهم قائلًا إنّها أفضل بذور، وإنّها لا تُوجد إلّا مع رجلٍ يقيم في

القرية المُجاورة. وظلّ حمدان في بيت الرّجل، وانتظره كثيرًا حتّى وجد المكان الّذي خبّأ فيه البذور، وعندما عاد وبسط غداءه، لم يُكمل بضع لُقيمات حتّى سمع الشّايب حميد بو عيون يُناديه ويطرق بابه، ولمّا خرج وجده يرتعش كأنّ الخبر الّذي يودّ أن يخبره به سيُودي بحياته.

في أوّل الأمر ارتبك حمدان، إذ كانت تلك المرّة الأولى الّتي يتكفّل فيها بمهمّة الطّارش، لكنّه ما لبث أن خرج من بيته حافيًا، حاسرَ الرّأس، لا يرتدي إلّا قميصه القصير وإزارًا، ومضى يطرق الأبواب ويصيح في السّكك بصوته الجهوريّ «غريقة.. غريقة».

لقد أطلَق النّاس تسمية بوعيون على الشّايب حميد لحدّة بصره ودقّته. حدث ذلك أثناء شبابه، ولكنّ بصره ظلّ حادًّا رَغم بُلوغه الثّمانين. إنّه يرى في البُعد ما لا يراه الآخرون، وهُو قادرٌ على معرفة القادم من بعيدٍ، وعلى تبيّن حيوانات أهل القرية الّتي تسرح بعيدًا في الجبال والسُّيوح المتاخمة، فيعرفها ويعرف صاحبها.

كانت من الصّدف الغريبة أن يمرّ بـ«طوي الخطم» في تلك الظّهيرة، فهي ليست في طريقه إلى البيت. ولعلّه من الغريب أيضًا أن يُلقي بنظره إلى قعرها كأنّ صوتًا قد أمره بذلك، فيرى تحت صفحة الماء القاتمة شبحَ إنسانٍ، ويُضيّق جفنيه حتّى يكاد يغلق عينيه، ثمّ يظلّ على حاله مستغرقًا يرقب ماء البئر حتّى تتكشّف له الحقيقة.

رأى هُناك جثّةً طافية، إنسانًا غريقًا، فمسح عينيه جيّدًا، ثمّ أعاد فَتْحَهُما، وأمعن النظر، فتيقَّنَ ممّا رآه، لكنّه لم يستطع معرفة هويّة الغريق بسبب عُمق البئر وعتمتها.

كانت ظهيرةً صيفيّة متوهّجة، فالهواء الغربيّ وجفاف الوديان جعلَا المكان لا يُطاق في تلك السّاعة. وعلى الرّغم من أنّها ساعة سكينةٍ يظلّ النّاس فيها مُستلقين تحت الأشجار بعد أن يُبلِّلوا الأرض الطّينيّة بالماء ليتطلّف الهواء، فإنّ الخوف دبّ في قلوبهم، وزاد فضولُهم لمعرفة هويّة الغريق الّتي لم يكشفها الطّارش، فترك الجميعُ أماكنهم الظّليلة، وخرجوا إلى البئر مُهرولين.

ساد الضّجيجُ المكانَ، وقد تحلّق النّاس حول البئر يتساءلون عن الغريق: من هو؟ ما الّذي حدث له؟ لماذا لم يره أحد وهو ينزل البئر؟ عمَّ كان يبحث؟ هل هو من أهل القرية أم واحد من الغرباء؟ من الّذي عثر عليه وكيف رآه رغم عمق البئر؟ هل سقط وَحْدَهُ أم هناك من دفعه؟ أسئلةٌ كثيرةٌ تبعثرت من أفواه الحاضرين، وكلّ واحدٍ يريد معرفة ما حدث.

احتشدَ النّاس على هذا النّحو: يأتي الواحد منهم مُهرولًا، يُحدّق في الظّلال القاتمة

وفي عمق المياه حتّى تنجلي له صُورة شخص مّا في القعر، شخص لا يتمكّن أحد من تبيّن ملامحه ولا جنسه، وهكذا دواليك.
قالت امرأةٌ وهي تُغطّي فمها بلثام:
– كأنّها خلقة.
وقال شابّ في العشرين من عمره:
– ما شفت حدّ غرقان.
وهزّ رجلٌ طاعنٌ في السنّ رأسه وهو يردّ على الشّابّ:
– محدّ غرقان غيرك.
فنكس الشّابّ رأسه خجلًا وصمت.
عمق البئر يتطلّب أن يهبط فيها رجل ذو خبرة، لأنّ أيّ انزلاق سيُودي بحياته، لا سيّما أنّ قعرها صخريّ وليس مستويًا تمامًا، لذلك كانت مهمّة الطّارش الثّانية أن يُحضِر متطوّعًا ليهبط إلى القعر.
كان سيف بن حمود مِن أوّل مَن سَمعُوا صراخ الطارش، فجاء مباشرةً من بيته بلا إبطاء، وسيف رجلٌ جهم، طويلٌ بجسم قويّ، مفتول العضلات، معروف في القرية بأن لا معضلة تقف في طريقه إلّا ووجد لها حلًّا، لذا لم يكن في حاجةٍ إلى أحد يطلب منه الهبوط إلى البئر وانتشال الغريقة، إذ توجّهت الأنظار إليه بشكلٍ تلقائيّ.
لكن عندما نزل سيف بن حمود مُتدلّيًا بالحبل وغاص تحت ماء البئر، اصطدم نظره بعيني الغريقة المفتوحتين كأنّهما تنظران إليه بغضب، فاهتزّ من الخوف والهلع وكاد يَشرق بالماء ويَغرق. وبعد ذلك شدَّ الحبل بقوّةٍ وصرخ بهم طالبًا منهم إخراجه. وعندما وصل إلى فم البئر، كان يرتجف وهو يهذي:
– الغريقة تشوف، الغريقة تشوف، كلتني... كلتني عيونها.
ثمّ فرّ هاربًا إلي بيته وأغلق الباب على نفسه وتدثّر ببُرنس الصّوف الثّقيل.
أدرك الشّايب عريق أن لا أحد يقدر على الهبوط إلى قعر البئر غير شخصٍ يُسمّونه الوعري، فقال لهم «عليكم بالوعري».
والوعري سلام ود عامور صاحب قلب شجاع لا يخاف البتّة، فهو لم يتوان قطّ عن فعل شيء طُلب منه أو قرّره من تلقاء نفسه. يتسلّق النّخيل العالي والقمم الصّعبة أو يهبط إلى أمّهات الأفلاج الغائرة في العمق والآبار القديمة ذات القعور العميقة. ويقضي لياليَ في الجبال وحيدًا لا يصاحبه أحد، وفي معظم الأوقات لا يختلط بالنّاس.
تطوّع رجل لإبلاغه، فذهب راكضًا إلى حيث دأب ود عامور أن يقيل في مزرعته

الصّغيرة، بعيدًا عن الحارات والنّاس. وكان قد ألقى برأسه على وسادة حمراء صغيرة، وأغمض عينيه وبدأ في تلذّذ النّعاس، ولكنّ الرّجل وصل إلى حدود المزرعة وبدأ يصرخ بأعلى صوته «اووو الوعري»، فهبّ من رقدته ليرى ما يحدث، إذ هي المرّة الأولى الّتي يناديه فيها رجل بهذه الطّريقة أو يقترب فيها أحد من حدود مزرعته في ذلك الوقت من النّهار.

خرج بعينين محمرّتين وشعر منكوش ولحية كثّة، وهي الهيئة نفسها الّتي لطالما أضفت عليه شيئًا من الغرابة جعلت النّاس يتوجسّون منه ويهابونه.

أخبره الرّجل بما حدث، فهبّ مسرعًا من دون أن يعود إلى الدّاخل للبس حذائه، ركض حافيًا ولم يتوقّف إلّا عند البئر.

عندما وصل وضع رِجلًا على حافّة البئر ثمّ وضع الأخرى على الحافّة المقابلة، وفتح رجليه وأمسك بالحافّتين بيديه وبدأ يهبط حتّى وصل قريبًا من صفحة الماء. حينئذٍ تناول الحبل المتدلّي من فوق، ثمّ أخذ نفَسًا عميقًا، وقفز إلى القاع، وغاب.

استمرّ في غيابه طويلًا، كان قلقُ المنتظرين عند حافّة البئر يزداد، بينما كان هو يلفّ الحبل جيّدًا حول الجثّة كي لا تسقط عند سَحْبِها.

وعندما رأى عينيها المفتوحتين مدّ يده وأسدل عليهما الأجفان، أغمضهما وهو يحوقل ثمّ باشر بإخراجها. صرخ بهم من عمق البئر أن يسحبوا الجثّة وظلّ مكانه حتّى تيقّن من أنّها خرجت، وصعد متسلّقًا الحجر دون أن يطلب مساعدة.

أُخرجت الجثّة وأُسجيت قرب حافّة البئر. وارتفع العويل حالما تعرّف الناس عليها. كانت جثّة مريم بنت حمد ود غانم. تشكّلت حلقة من النّساء حولها، بعضهنّ يبكين بصمتٍ وبعضهنّ ينُحن.

«غابت مريم».

كان زوجها عبدالله بن جميّل حاضرًا، فاقترب منها وبقي ينظر إليها غير قادرٍ على تصديق ما حدث، فما الّذي جعل زوجته الّتي تخاف الاقتراب من حدود الآبار، تقترب حتّى تسقط وتغرق في هذه البئر العميقة؟ لكن ها هي مسجّاة أمامه على الأرض، مغمضة العينين، الماء ينزّ من جسدها، وقد انزاحت وقايتها عن رأسها والتفّت حول رقبتها مثل حبل.

وكما جرت العادة سارعوا بغسلها وتكفينها لتُدفن في مقبرة القرية. وبينما كانت النساء يُكفِّن مريم صرخت خالتها عايشة بنت مبروك فجأةً:

«في بطنها حياة.. في بطنها حياة».

فتحسّست إحداهنّ بطنها وشعرت بحركة الجنين تحت يديها، فقامت تنتفض من

الارتباك.
ساد الوجوم وجوه النّاس الحاضرين، ما الّذي يتوجّب عليهم فعله؟ هل يجوز فتح بطن الميّتة واستخراج جنينها أم يجب أن يُدفن معها؟
تضاربت الآراء وساد الهرج واللّغط بين النّاس، لكنّ الشّيخ حامد بن علي، وهو الرّجل الفقيه الّذي يستمع إليه كلّ النّاس، قال لهم وقد هبّ من جلسته في الطّرف القصيّ من الحضرة:
«بو فبطنها أولى به الدّفن».
اتكّأ الشّايب حميد بو عيون على جذع نخلةٍ، وتحدّث كأنّه يُكلّم نفسه، ولكن من الواضح أنّه قصدَ بكلامه الشّيخ حامد:
– أيش وازنك تحرّم وتحلّل فأرواح النّاس.
سمع الشّيخ حامد كلامه فنظر إليه بغضبٍ وقال له:
– الشّرع يقول كذا.
فنقر الشّايب بو عيون بعصاه الأرض الطّينيّة بين قدميه، وردّ:
الشّرع هذا تتحمّله فعنقك إلى يوم القيامة.
غضب الشّيخ حامد من كلام بو عيون وزادت حدّةُ صوته وهو يصرخ فيه:
– وانت مو دخّلك فشي ما تعرفه؟
وعندئذ قام بو عيون من مكانه واتّجه إلى حيث يقف الجميع حول الشّيخ حامد بن علي وقال وهو يشير بعصاه ناحية الجثّة المسجّاة:
– لكن هذي حياة، تدفن إنسان حيّ في التّراب وتحكم عليه بالموت، وتقول شرع؟
وفي خضمّ النّزاع القائم، وغفلة النّاس، سحبت كاذية بنت غانم سكّينًا من حزام أحد الحاضرين، ورفعت ثوب الغريقة، وشقّت بطنها ثمّ أدخلت يديها لتخرج الطّفل من الرّحم، وما إن قطعت حبل المشيمة ورفعت الطّفل كما تفعل أيّ قابلة متمرّسة، حتّى سمع الجميع بُكاءه.
وعندما انتبه النّاس إلى بُكاء الرّضيع التفتوا إلى مصدر الصّوت مُندهشين، فابتسمت في وُجوههم، ابتسمت وسط الفجيعة وردّدت وقد ملأت الدّموع عينيها:
«محلاه– صلاة محمّد السّلام– يُخرج الحيّ من الميّت، يخرج الحيّ من الميّت، يُخرج الحيّ من الميّت».

× × ×

جرَتْ العادة أن يُذكر اسم مريم بنت حمد ود غانم كاملًا، فلا يُمكن أن يُقال مريم فحسب ولا مريم بنت حمد، بل يجب أن يُذكر الاسم تامًّا، ولذلك أسباب عديدة

أهمّها أنّ في قرية المسفاة الكثير من النّساء المُسمّيات بمريم، فهناك مريم بنت إبراهيم، ومريم الجلولة، ومريم الصّايغة ومريم حليسا مليسا، وغيرهنّ كثيرات، وبينهنّ أكثر من واحدة اسمها مريم بنت حمد، لذلك لو قال قائل «مريم بنت حمد» ثمّ سكت، سيأتيه السّؤال مباشرةً «من مريم بنت حمد؟».

ومريم الغريقة هي زوجة عبدالله بن جميّل، «البيدار» الّذي يعمل في الضواحي، فيقضي جلّ وقته في سقي النّخيل والاعتناء بالمزروعات، ويعطيه أصحابُها ثمنًا لجهده حسب الاتّفاق، أو جزءًا من الثّمار عند جنيها.

على التلّ الجبليّ لضاحية «القعتة» أُقيم بيت عبدالله بن جميّل وحيدًا متفرّدًا تحيط به النّخيل والمزروعات، وتحت التلّ مباشرةً تنتصبُ شجرة «سوقم» عظيمة ومعمّرة، يمرّ تحتها درب الممشى الجبليّ إلى الجهة الأخرى من القرية، وخارج الضّاحية توجد سدرة تظلّل المكان، ما جعله ملائمًا لإقامة حظيرة الأبقار والأغنام الّتي تعتني بها مريم.

تقع ضاحية «القعتة» على الطّرف القصيّ من ضواحي القرية، ولذلك هي تضجّ في أوقات المحْلِ والجفاف بأصوات المناجير، ففي الجانب المقابل لها تقع «طوي الخطم» وعلى شمالها «طوي البحرين» الّتي تعمل المناجير فيها ليلًا ونهارًا لاستخراج الماء، وكان يطيب لمريم بنت حمد ود غانم أن تنام ليلًا على أصوات تلك المناجير إذ تصل موسيقاها شجيّةً إلى مسمعها وتُشعرها بالهدوء والسّكينة فتغفو على ذاك الشّجن العطش تاركةً كلّ منجور من تلك المناجير يطرز اللّيل بصوته الشجيّ.

لا يجاور بيت «القعتة»، كما تعارف النّاس على تسميته، سوى مقبرة قديمة اندثرت حجارتُها وتناثرت على السّفح، وهو ما منح البيت العزلة والهدوء، فكان لا يُطرق بابه إلّا للضّرورة، ومع ذلك ظلّت أصواتُ المارّين تبلغ البيت من الدّرب الممتدّ على الجهة الأخرى، جاعلةً المكان مستأنسًا وأقلّ وحشة، رغم المقبرة وحكايات ساكنيها.

في النّهار يطيب لسالكي الدّرب أن يستريحوا تحت شجرة «السوقم» ويتناولوا بضع تمرات وفناجين من القهوة، يضعها بن جميّل لهم، بينما تتعلّق القربة على أحد أغصانها باردةً تنتظر ضمآنَ ليفتح فمها ويدلق الماء إلى جوفه.

عادة ما تأخذ مريم إناءً لتملأه بالماء من الفلج الّذي يستقي منه أهالي القرية، فتصعد الممرّ الجبليّ حتّى تبلغه فتأتي بما تحتاج إليه من ماءٍ للشّرب والطّهي والتّنظيف وسقي الماشية، ورغم صعوبة الطّريق فإنّها كانت تذهب مرّاتٍ عديدةً في اليوم الواحد، مرّةً في الصّباح الباكر وأخرى قبل الظّهيرة، ثمّ ثالثةً عصرًا، وقد

تضطرّ أحيانًا إلى أكثر من ذلك، فتصعد الممرّ الجبليّ وتهبط منه باطّراد، حتّى تأخذ كفايتها من الماء.
كانت مريم أفضل من يطرز الثّياب في القرية، لها يدٌ خفيفة، سريعة، ومُتقِنة لصنعتها، فغارت منها النّساء الأخريات، لكن لم يستطعن مجاراتها، ولذلك ظلّت الأُسَرُ الميسورة تعهد إليها بتطريز الثّياب، فتأخذ مقابلًا لعملها يكفيها وزوجها للعيش في غنًى عن أيّ إحسان.
استمرّت حياة مريم بنت حمد ود غانم في هدوء وراحة، ولم يكدّر صفوها شيء، فمنذ انتقالها قبل خمس سنوات للعيش في ذاك البيت، لم تعرف من عبدالله بن جميّل إلّا التّقدير والكثير من المحبّة.
لكنّ حملها تأخّر سنواتٍ عديدةً، فبدأت النّساء يعزون ذلك إلى وحشةِ المكان ومجاورتِه القبور، واقترحت واحدة من زبوناتها أن تقدّم النّذور، ونصحتها أخرى بأن تُطلق البخور ساعات الغروب قُرب المقبرة، إلّا أنّ مريم بنت حمد ود غانم لم تكترث بكلّ ذلك ولم تطبّق من تلك الاقتراحات سوى مقترح تبخير المكان كلّما أرادت.
قبل أشهر، انقطع دمها، وبدأ بطنها في البروز، فذهبت إلى شمسة بنت خليفة القابلة العجوز، الّتي تلجأ إليها نساء القرى، ففحصتها وأكّدت لها أنّها حامل.

***

زهران القاسمي
تغريبة القافر
دار رشم للنشر والتوزيع،
السعودية 2022
Rashm.ksa@gmail.com
http://rashm-store.com
الترقيم الدولي: 9789938740004

الجائزة العالمية للرواية العربية
INTERNATIONAL PRIZE FOR ARABIC FICTION

لجنة التحكيم 2023

محمد الأشعري (رئيس لجنة التحكيم) شاعر وروائي من المغرب، ولد بمنطقة زرهون بالمغرب ودرس الحقوق في جامعة محمد الخامس. بدأ نشر قصائده الأولى وقصصه في الجرائد المغربية نهاية الستينيات من القرن الماضي، قبل أن يتولى رئاسة تحرير الملحق الثقافي لجريدة الاتحاد الاشتراكي التي أصبح واحداً من كتّاب أعمدتها. ترأس اتحاد كتاب المغرب لثلاث دورات متتالية، وقادته تجربته السياسية إلى الاعتقال قبل أن يعين في حكومة التناوب الأولى في تاريخ المغرب السياسي وزيراً للثقافة ثم وزيراً للثقافة والاتصال من 1988 إلى 2007. صدرت له حتى الآن 12 ديواناً شعرياً وست روايات، من بينها "القوس والفراشة" التي فازت (مناصفة) بالجائزة العالمية للرواية العربية في عام 2011، "علبة الأسماء" (2014)، "ثلاث ليال" (2017)، "العين القديمة" (2019)، و"من خشب وطين" (2021). حصل على جائزة أركانة العالمية للشعر عام 2022 تقديراً لمنجزه الشعري، وترجمت أعماله إلى عدد من اللغات العالمية.

تعمل **ريم بسيوني**، أستاذة ورئيسة قسم اللغويات في الجامعة الأمريكية بالقاهرة حاليًا، وكمحررة سلسلة دراسات Routledge عن اللغة والهوية، ومؤسسة ومحررة جورنال Edinburgh عن علم اللغة العربية الاجتماعي. تخرجت من جامعة الإسكندرية ودَرَست الماجستير والدكتوراة في جامعة أكسفورد ببريطانيا. درَّست في الجامعات البريطانية والأمريكية وصدر لها العديد من الروايات وصدرت كلها في عدة طبعات. حصدت العديد من الجوائز مثل جائزة أحسن عمل مترجم في أمريكا 2009 عن رواية "بائع الفستق" (2009) من مركز الملك فهد لدراسات الشرق الأوسط، جامعة أركنساس، وجائزة ساويرس للأدب (2010) عن رواية "الدكتورة هناء" (2007)، وجائزة نجيب محفوظ للأدب من المجلس الأعلى للثقافة لأفضل رواية مصدرة لعام 2020 عن روايتها "أولاد الناس ثلاثية المماليك" (2018)، التي تم ترشحها لجائزة Dublin Literary Award ، والتي جاري تحويلها إلى مسلسل درامي. كما فازت بجائزة الدولة للتفوق في الآداب لعام 2022 عن مجمل أعمالها الأدبية. ترجمت أعمالها الأدبية إلى الإنجليزية واليونانية والأسبانية. وصدر لها العديد من الكتب العلمية عن دور النشر الأوروبية والأمريكية.

تيتز روك، أستاذ جامعي وباحث ومترجم سويدي، وُلد عام 1955، حاصل على الدكتوراة في اللغة والآداب العربيّة من جامعة إستكهولم في السويد عام 1997. يعمل الآن أستاذاً بجامعة جوتيبرج السويدية. صدرت له حتى الآن أكثر من عشرين ترجمة أدبية من اللغة العربية إلى اللغة السويدية في مجالات الرواية والقصة والشعر والمسرح علاوة على دراسات أكاديمية عديدة في الأدب العربي الحديث ومسائل الترجمة بشكل خاص، وله أيضاً كتاب بعنوان "في طفولتي" (1997)، يتناول مرحلة الطفولة كما عبّر عنها عدد من المبدعين العرب، عندما كتبوا سيرتهم الذاتيه، وترجم الكتاب إلى العربية في العام 2002.

عزيزة الطائي، كاتبة وأكاديمية من سلطنة عمان، من مواليد 1968. حاصلة على بكالوريوس أدب عربي فدبلوم تأهيل تربوي من الجامعة الأردنية، وبعدها الماجستير من جامعة السلطان قابوس، فشهادة الدكتوراة في النقد الأدبي الحديث من جامعة تونس الأولى. اشتغلت في مجال العمل التربوي حتى أصبحت مشرفاً عاماً على تدريس اللغة العربية وخبيراً تربوياً في وزارة التربية والتعليم. تنتدب للتدريس كمحاضر في جامعة السلطان قابوس. لها العديد من الإصدارات المتنوعة بين النقد والسرد (القصصي والروائي) والشعر وأدب الطفل، وشاركت في العديد من الدراسات المنشورة في الكتب البحثية، والمجلات العلمية. وهي عضو هيئة تحرير في مجلة عيون السرد التابعة لجامعة تطوان/ المغرب. فاز ديوانها "خذ بيدي فقد رحل الخريف" بجائزة المبدعات الخليجيات في دورتها الثانية عام 2019. ترجمت بعض من نصوصها الشعرية والقصصية والروائية إلى اللغات الألمانية والأسبانية والإيطالية والبوسنية.

فضيلة الفاروق، روائية وباحثة جزائرية. لديها تجربة أكثر من ثلاثين سنة خبرة في مجال الصحافة الثقافية (صحف، راديو، تلفزيون). صدر لها ست مؤلفات بين رواية وقصة قصيرة وشعر. تُرجمت بعض أعمالها إلى الإنجليزية والفرنسية والأسبانية ولغات أخرى. أطلقت مشروعاً تلفزيونياً لقراءة الكتاب قراءة محترفة وتشجيع جمهور التلفزيون على اختلاف مستوياته على القراءة. قدّمت أكثر من 600 كتاب للجمهور عبر نافذتها الإعلامية عبر التلفزيون العربي. توقعت في العديد من المرات بفوز بعض الكتب بجوائز. اهتمت بمشروع القراءة منذ مطلع التسعينات في الجزائر ولا تزال. ناضلت من أجل تحسين ظروف النساء، وتغيير القوانين المجحفة في حقهن بصوتها وأدبها.

المترجمون

رافائيل كوهين: مترجم يعمل في القاهرة. ترجم رواية منى برنس "إني أحدثك لترى" (2011)، ورواية "إيموز" للكاتب إسلام مصباح (2013)، كما ترجم ثلاث روايات للكاتبة أحلام مستغانمي "عابر سرير" (2011) "ذاكرة الجسد" (2011) و"فوضى الحواس" (2014)، ورواية "أجنحة الفراشة" لمحمد سلماوي. ترجم العديد من القصائد لشعراء من العالم العربي وجميعها نشرت في أعداد مختلفة من مجلة بانيبال. بالإضافة إلى "مختارات شعرية" للشاعر والرسام المصري أحمد مرسي، صدرت في العام 2021 عن منشورات بانيبال.

جوناثان رايت: درس اللغة العربية والتركية والتأريخ الإسلامي في كلية سانت جون، جامعة أوكسفورد. عمل صحفياً على طول العالم العربي متنقلاً بين تونس وعمان ولبنان ومصر. كما عمل في الفترة ما بين عامي 2008 و2011 كمدير تحرير لدورية إليكترونية تصدرها الجامعة الأميركية في القاهرة. فاز في شباط/فبراير 2014 بجائزة سيف غباش بانيبال للترجمة الأدبية لترجمته لرواية "عزازيل" ليوسف زيدان، كما فاز بنفس الجائزة في العام 2016 عن ترجمته لرواية "ساق البامبو" للكاتب الكويتي سعود السنعوسي. ترجم جوناثان العديد من الأعمال الأدبية المعاصرة مثل "تاكسي" لخالد الخميسي، "مجنون ساحة الحرية" لحسن بلاسم، "كائن مؤجل" لفهد العتيق، "حيث لا تسقط الأمطار" لأمجد ناصر، "خمارة المعبد" لبهاء عبد المجيد. بالاضافة إلى كتاب مقالات لعلاء الأسواني؛ جوناثان رايت هو مترجم رواية الكاتب العراقي أحمد سعداوي "فرانكشتاين في بغداد" التي حصلت على الجائزة العالمية للرواية العربية للعام 2014، ثم دخلت القائمة القصيرة لجائزة بوكر العالمية.

نانسي روبرتس: مترجمة أميركية. ترجمت العديد من الأعمال الأدبية العربية إلى الإنجليزية. منها رواية "البشموري" للكاتبة المصرية سلوى بكر، التي حازت على المرتبة الثانية لجائزة سيف غباش بانيبال للترجمة الأدبية. كما ترجمت "السراب" لنجيب محفوظ، "فوق الجسر" لمحمد البساطي، "المنتهى" لهالة البدري، "بيت الديب" لعزت القمحاوي، وروايتين للكاتب الفلسطيني إبراهيم نصر الله "قناديل ملك الجليل" و"زمن الخيول البيضاء"، بالإضافة إلى ترجمة أربع روايات للكاتبة السورية غادة السمان، "ليلة المليار" و"كوابيس بيروت" و"بيروت 75" و"يا

دمشق وداعا"، التي فازت بجائزة أركانساس لترجمة أفضل مخطوطة عربية.

پول ستاركي: نائب رئيس الجمعية البريطانية لدراسات الشرق الأوسط. وكان حتى تقاعده عام 2012 أستاذا للغة العربية ورئيسا لقسم اللغة العربية في جامعة درام، المملكة التحدة. ومن بين كتبه ومقالاته دراسة عن توفيق الحكيم بعنوان "من البرج العاجي" (1987)، "موسوعة الأدب العربي" تحرير مع جولي ميسمي (1998). وقد ترجم پول ستاركي الكثير من الروايات العربية إلى الإنجليزية لرشيد الضعيف وأدوار الخراط وتركي الحمد ومنصورة عز الدين وجرجي زيدان ومهدي عيسى الصقر وعدنية شبلي ومصطفى خليفة وسعيد خطيبي. فاز بجائزة سيف غباش بانيبال للترجمة للعام 2015 عن ترجمته لرواية "كتاب الطغرى" للكاتب المصري يوسف رخا.

سميرة قعوار: صحفية ذات خبرة في مجال الطاقة، عملت ولسنوات طويلة كمحررة لشؤون الشرق الأوسط في دار نشر الطاقة Argus Media منذ عام 1999 إلى حين استقالتها من منصبها في مارس 2015 للتفرغ والتركيز على الترجمة الأدبية. ساهمت سميرة قعوار في الترجمة لمجلة بانيبال منذ تأسيسها في العام 1998 ، وهي عضو في الأمانة العامة لجمعية بانيبال للأدب العربي. من الأعمال التي ترجمتها إلى الانكليزية كتاب عبد الرحمن منيف "عمان مدينة الطفولة" (1996)، ورواية "عين المرآة" للكاتبة الفلسطينية ليانة بدر (2008) .

صوفيا ڤاسالو: نالت شهادة الدكتوراة من جامعة كامبريدج برسالة في الفكر الأخلاقي المعتزلي في 2006. منذ ذلك الوقت شغلت عدة مناصب بين البحث والتدريس في عدة جامعات ومؤسسات علمية. وهي تعمل الآن أستاذة في اللاهوت الفلسفي في قسم الدراسات الدينية في جامعة بيرمينغهام. مدار بحثها الفكر الأخلاقي الإسلامي خاصة النزعات العقلانية منه، ولها أيضا عدة دراسات في الفكر الفلسفي الغربي. تضم أعمالها المنشورة: "الفاعل المكلف ومستحقاته: ملامح الفكر الأخلاقي عند المعتزلة" (2008)، وقد نال جائزة ألبرت حوراني للدراسات الشرق أوسطية للعام 2009، و"شوبنهاور والموقف الجمالي: الفلسفة كممارسة للسمو" (2013)، و"الفكر الأخلاقي لدى ابن تيمية" (2015). تنشط في ترجمة الأدب العربي الكلاسيكي والحديث. وأخيرا، قامت بترجمة رواية "السبيليات" للكاتب الكويتي إسماعيل فهد إسماعيل وصدرت ترجمتها عن دار انترلنك الأميركية في العام 2019.